الصوائف الإسلامية فى عهد الناصر بالأندلس.
من خلال كتاب المقتبس لابن حيان.

إعداد

د/ راوية عبد الحميد حسانين شافع.

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى - والحضارة الإسلامية.

جامعة حلوان - كلية الآداب - قسم التاريخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخلص البحث

ويتناول هذا البحث جانبا مهما، من الجوانب العديدة التى ميزت عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله أو عبدالرحمن الثالث فى الأندلس، وهو الجانب الخاص بالصوائف، وعلى وجه التحديد الصوائف الإسلامية إلى الشمال الإسبانى المسيحى، والذى وصل إلى مرحلة من التغول، والتهديد الحقيقى للجنوب الإسلامى الأندلسى، فى تلك الحقبة التى تولاها عبدالرحمن الناصر، وبخاصة فى الفترة المبكرة من تقلده حكم الأندلس، وذلك لأسباب عديدة أهمها، مرحلة الفوضى والضعف التى سبقت اعتلاءه عرش الأندلس، وقد تناولنا هذا الموضوع الخاص بالصوائف، من خلال كتابات أحد أهم مؤرخو الأندلس فى تلك الحقبة التاريخية ، والذى عاصر الأحداث بصورة كبيرة، جعلت لكتاباته مصداقية كبيرة بين مؤرخى الأندلس قديما وحديثا، وهو المؤرخ الكبير ابن حيان.

وقد ساهمت الصوائف إلى حد كبير، وبخاصة فى الأندلس، فى عصر الناصر وغيره من حكام الأندلس، إلى إطالة عمر الدولة الإسلامية فى الأندلس، وذلك لأنها كانت عبارة عن حرب استنزاف مستمرة، لا هوادة فيها، بدأت منذ بداية الفتح الإسلامى، لمعرفة حكام الأندلس بمدى خطورة العدو المتربص فى الشمال على وجه التحديد، ولكن الدور الأقوى، والأكثر تأثيرا لهذه الصوائف، كان فى عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر، حيث استطاع العدو أن يحرز بعض الامتيازات، من تخريب وتمدد فى الأراضى الإسلامية، بل وتفريغ بعض المدن كاملة من سكانها المسلمين، مستغلا حالة التفكك والضعف، التى سبقت فترة حكم الخليفة عبدالرحمن الناصر، مما وضع عبء كبير على الحاكم الجديد، فى ردع العدو، واستعادة هيبة الدولة الإسلامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة :-

تناول ابن حيان [١] عمدة مؤرخى الأندلس، أو كما لقبه المؤرخ التونسى الكبير ابن خلدون " بمؤرخ الأندلس "، وهى شهادة كبيرة من أحد أهم المؤرخين فى التاريخ الإسلامى على الإطلاق. ولأهمية الخليفة عبدالرحمن الناصر [٢] وعصره أختصه ابن حيان بمؤلف خاص به فى موسوعته الخاصة بأمراء وخلفاء بنى أمية، وأرخ للثلاثين عاما الأولى من حكمه للأندلس، والذى استمر لنصف قرن كاملة.

ويعتبر عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر، من العصور القليلة فى الأندلس، التى أجمع عليها العديد من المؤرخين قديما وحديثا.

ويتناول هذا البحث جانبا مهما، من الجوانب العديدة التى ميزت عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله أو عبدالرحمن الثالث فى الأندلس، وهو الجانب الخاص بالصوائف، وعلى وجه التحديد الصوائف الإسلامية إلى الشمال الإسبانى المسيحى، والذى وصل إلى مرحلة من التغول، والتهديد الحقيقى للجنوب الإسلامى الأندلسى، فى تلك الحقبة التى تولاها عبدالرحمن الناصر، وبخاصة فى الفترة المبكرة من تقلده حكم الأندلس، وذلك لأسباب عديدة أهمها، مرحلة الفوضى والضعف التى سبقت اعتلاءه عرش الأندلس، وقد تناولنا هذا الموضوع الخاص بالصوائف، من خلال كتابات أحد أهم مؤرخو الأندلس فى تلك الحقبة التاريخية ، والذى عاصر الأحداث بصورة كبيرة، جعلت لكتاباته مصداقية كبيرة بين مؤرخى الأندلس قديما وحديثا، وهو المؤرخ الكبير ابن حيان.

وكان لزاما علينا قبل أن نسترسل فى موضوع البحث، أن نقف قليلا حول موضوع الصوائف، وأهميتها فى التاريخ الإسلامى شرقا وغربا، ثم أهميتها فى الأندلس، وأخيرا أهميتها فى عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر، ومعنى كلمة الصوائف فى اللغة ، جمع صائفة، وصائف ، وتشير إلى الغزوة فى الصيف، وصائفة القوم ميرتهم فى الصيف [٣]. وقد انتقل لفظ الصائفة، إلى اللغة الإسبانية، من اللغة العربية Aceifa.ولم يكن موضوع الصوائف له دور وأهمية كبيرة، فى صدر الإسلام، أى فى العصر النبوى، وأيضا فى عصر الخلفاء الراشدين، لعدة اعتبارات أهمها، أن الحقبة النبوية، كانت معظم غزواتها مع قريش وحلفائها داخل وخارج المدينة، ولذلك فالدولة الإسلامية الأولى فى المدينة، فى تعاملها مع قريش واليهود والمنافقين، داخل المدينة وخارجها، لم ترتب لهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعامل موسما معينا، إنما بحسب ما تقتضيه الحاجة، أما الحقبة الراشدة، وبخاصة فى الفترة العمريـــة، وهى أول وأهم مرحلة كبيرة فى حركة الفتوحات الإسلامية فى كل الفصول، ورغم ذلك لم تهـــتم أيضا إلى حد كبير بهذا الأمر،أى بترتيب الحملات بوقت محدد فى الصيف على وجه التحديد، كما جاء فى العصور اللاحقة.

وكان أول من رتب الصوائف فى التاريخ الإسلامى، كغزوات منتظمة على أراضى العـــدو ـــــ الدولة البيزنطية فى ذلك التوقيت ـــــ هو معاوية بن أبى سفيان، عندما كان واليا على بـــلاد الشام، وذلك فى الفترة التى تولى فيها، أثناء خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان الهـــدف الأساسى من الصوائف فى تلك الفترة المبكرة، الاستطلاع وتقدير قوة العـــدو، ومعرفـــة أحوالـــه عسكريا، علاوة على وضع العدو فى حالة تأهب قصوى، وفى حالة دفاع عن أراضيه، أكثـــر مـــن الالتحام المباشر، وحيازة أمجاد وامتيازات عسكرية، وبخاصة فى الـــشطر الـــشمالى مـــن الدولـــة الإسلامية فى هذا التوقيت المبكر من عمر الدولة الإسلامية ، وذلك قبل أن يأتى دورها كغـــزوات وصوائف فاتحة، ولها أهداف واضحة، فى عصور لاحقة.

ورغم أن الصوائف بدأت فى المشرق الإسلامى، وفى بلاد الشام، حيث قامت أول خلافـــة إسلامية خارج مهد الإسلام الأول، فى شبه الجزيرة العربية، ومنها امتدت إلى أصقاع العالم الاسلامى مع حركة الفتوحات الإسلامية، إلا أن الصوائف على أرض الأندلس اتخذت طابعا مختلفا إلى حد ما، يتمثل بصورة كبيرة فى تأثير العوامل المناخية والجغرافية الوعرة، وبخاصة فى الشمال الإسبانى، حيث العدو الأول المتربص لدولة الإسلام،علاوة على ما اتضح لنا من خلال دراسة تاريخ الأندلس، من نفور العرب بصفة عامة من المناطق الأشد برودة، والأكثر وعورة من حيث الطبيعـــة الجغرافيـــة، ولذلك عمدوا منذ البداية إلى تنظيم الحملات فى فصل الصيف، لملائمة المناخ إلى حد كبير لطبيعـــة العرب والمسلمين بصفة عامة، فى حروبهم ضد الشمال الإسبانى المسيحى، ويمكن أن نضيف أيضا فى تلك النقطة التى جعلت ابن حيان، يفرد لها العديد من النقاط فى كتاباته التاريخية، ولم يدرجها من جملة غزوات الناصر، الموروث التاريخى المتراكم، فى عملية تجهيز الجيوش فتـــرة الركـــود فى الـــشتاء، والاستعداد للانطلاق مع بدايات الصيف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن أن نستثنى من ذلك، تلك الحملات التى لم تكن ترتبط كثيرا بفصل الصيف، والتجهيزات، تلك الحملات التى تجهز لردع الخارجين على سلطة الإمارة ثم الخلافة، حيث لاحظنا أنها لم تكن ترتبط بتوقيت محدد، بل تنطلق حسب الحاجة، ومدى خطورتها على الوضع القائم فى عاصمة الدولة الأموية.

أما الصوائف، قد أشار ابن حيان فى معرض حديثه، عن إحدى صوائف الناصر، أنه أضطر إلى الخروج فى هذه الصائفة مبكرا، قبل ميقات الصوائف، والتى كانت تبدأ طبقا لتواريخ معظمها، مع نهاية فصل الربيع، وبداية فصل الصيف.

وقد ساهمت الصوائف إلى حد كبير، وبخاصة فى الأندلس، فى عصر الناصر وغيره من حكام الأندلس، إلى إطالة عمر الدولة الإسلامية فى الأندلس، وذلك لأنها كانت عبارة عن حرب استنزاف مستمرة، لا هوادة فيها، بدأت منذ بداية الفتح الإسلامى، لمعرفة حكام الأندلس بمدى خطورة العدو المتربص فى الشمال على وجه التحديد، ولكن الدور الأقوى، والأكثر تأثيرا لهذه الصوائف، كان فى عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر، حيث استطاع العدو أن يحرز بعض الامتيازات، من تخريب وتمدد فى الأراضى الإسلامية، بل وتفريغ بعض المدن كاملة من سكانها المسلمين، مستغلا حالة التفكك والضعف، التى سبقت فترة حكم الخليفة عبدالرحمن الناصر، مما وضع عبء كبير على الحاكم الجديد، فى ردع العدو، واستعادة هيبة الدولة الإسلامية.

ولذلك بدأ ابن حيان، يوضح لنا نية الناصر فى ضبط حدوده الشمالية، منذ بداية حكمه للأندلس، والتى امتدت زهاء نصف قرن كاملة، فنراه فى أحداث سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٦ م، حيث يقول : " فأخذ الناصر لدين الله فى شأنه بالوثيقة، وعول على ضبط أطراف وتحصين بيضته والإرصاد لأهل الخلاف والخلعان خلال معاقلهم، ومجال مساربهم " [٤]. وقد جاء هذا الحديث لابن حيان، فى سياق حديثه عن المجاعة التى ضربت الأندلس فى تلك السنة، والتى أخرت مشروع الناصر، فى إرسال أول صوائفه إلى الشمال الإسبانى المسيحى. ويضيف ابن حيان : فى أحداث نفس السنة، حول موضوع الصوائف أيضا، قائلا : لم تكد تنته غمة تلك المجاعة، حتى أسرع عبدالرحمن إلى التحضير للغزو إلى أرض النصارى، حيث آمر فى هذه الغزوة أحد أهم قواده، القائد أحمد بن محمد بن أبى عبدة [٥].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن قبل أن نتناول أحداث هذه الغزوة أو الصائفة، لا بد أن نبدأ تاريخيا ببداية الصراع، وكيف كان البدء فيه؟، من طرف الممالك المسيحية فى الشمال، وأن هذه الاعتداءات من قبل الممالك المسيحية، كانت هى السبب الرئيسى الذى دفع الناصر إلى إرسال الصوائف تترى، الواحدة تلو الأخرى، لوضع حد، لهذه الهجمات على الأراضى الإسلامية.

* الأسباب التى دعت الناصر التجهيز للصوائف.

وفى هذا السياق، يمدنا ابن حيان بنص مفصل، حول تلك الهجمات، التى بادر بها أحد ملوك الشمال الإسبانى، وهو الملك أردون الثانى أو أردونيو الثانى [٦]، أو (أردون بن أذفونش ملك الجلالقة) على حد تعبير ابن حيان [٧].

فقد قام بهذه الغارة على الأراضى الإسلامية،واختار من أراضى المسلمين أضعفها، حيث اختار المناطق الغربية من أراضى المسلمين، لعدة أسباب، أهمها، ضعف وسائل الحماية والدفاع عن تلك الأراضى، وقلة عدد السكان المسلمون بها، فقد كان السكان من المسلمين، تقل أعدادهم كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال، فى إسبانيا الإسلامية، لارتباطهم روحيا واجتماعيا واقتصاديا، بعاصمة الخلافة مدينة قرطبة، علاوة على قفر الأراضى الإسبانية فى الشمال بالقياس للأراضى الواقعة فى الوسط والجنوب، ومن الأسباب أيضا التى دعت أردونيو، إلى مهاجمة تلك الأراضى، بعدها عن مركز الخلافة، علاوة على انشغال الخلافة، فى عدة أمور داخلية أخرى، أخرت السرعة، إلى نجدة تلك الأراضى الإسلامية.

ووقع اختيار أردونيو على مدينة يابرة [٨]، وهى تقع إلى الغرب من أحد أهم قواعد الأندلس فى الغرب مدينة بطليوس [٩]. ويسترسل ابن حيان فى روايته نقلا عن الرازى : أن أردونيو ملك ليون، قام فى الثالث عشر من شهر المحرم بسنة ٣٠١ هـ، (أغسطس ٩١٣م)، أى فى العام الثانى من ولاية الناصر، وخرج فى عسكر وجنود عظيمة، من الخيل والرجل والرماة، يقدر عددهم بحوالى ثلاثين ألفا، واتجه إلى مدينة يابرة، وكان عامل المدينة يومئذ مروان بن عبدالملك بن أحمد [١٠]، وعند وصولة إلى يابرة يوم الأربعاء ١٣ من المحرم سنة ٣٠١م، تقدم فى جماعة من حرسه الخاص لاستطلاع أحوال المدينة بالدوران حول أسوارها، وتأمل حالتها، فرآه فى حالة سيئة، ولا يوجد له ستارة أو شرفات فى أعلاه، تؤمن له الحماية، وفى أحد جهاته الخارجية،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجد مرتفع من قمامة أهل المدينة، اعتادوا على إلقاءها فى هذا المكان من داخل أسوار المدينة، حتى شكلت بمرور الأيام مرتفعا كاد يساوى ارتفاع السور فى بعض الأماكن، فاستبانت له العورة، مما أنعش آماله فى فتح المدينة، فضرب عليها الحصار من جميع الجهات. ويضيف ابن حيان: " وجد فى منازلة أهلها، فأرجل جميع فرسانه لحربها حتى القوامس والأباترة " [١١]، فلم يبق معه فارس [إلا نفر من مشيخة أهل بيته نحو الخمسة. فواضعوا أهلها للحرب] [١٢].

وسارع أهل المدينة من المسلمين للدفاع عن مدينتهم من فوق الأسوار، وبذلوا قصارى جهدهم، ولكن سهام العدو التى انهالت عليهم أرغمتهم على النزول، لعدم وجود ساتر لهم ضد تلك السهام، وكانت قد أصابت منهم أعدادا كبيرة، وتركوا سور المدينة لمصيره المحتوم، فتمكن عسكر العدو من تسلق السور، من خلال أكوام القمامة، وهدموا ثلمة منه، كانت حديثة البنيان، ولم يشعر أهل المدينة إلا بدخولهم، وأحاطوا بهم من جميع الجهات، وأصبحوا معهم داخل المدينة، فحمى المسلمون، عندما واجهوا العدو وجها لوجه، وشدوا عليه شدة رجل واحد، حتى أجبروهم على الخروج من داخل المدينة، وعاد المسلمون مرة أخرى إلى أعلى السور، واستطاعوا قتل أعدادا كبيرة منهم.[١٣].

ويضيف ابن حيان : ثم تذامر عليهم العدو، ولكن هذه المرة كروا عليهم كرة رجل واحد، فهزموا هذه المرة هزيمة أشد من الأولى، ودخل العدو المدينة، ودارت بين الفريقين معارك طاحنة، قتل فيها خلق كثير من كلا الجانبين، ثم تكاثر العدو على المسلمين حتى قهرهم، وألجأهم إلى موضع بشرقى المدينة بالقرب من سورها، وضيق العدو عليهم فى هذا المكان، فازدحموا فيه، ولم يستطيعوا التحرك والتنقل بسهولة بين جنباته لتراكمهم، وضيق المساحة، فقتلوا أجمعين، وتم سبى جميع النساء والذرارى، ولم ينج من تلك المعركة سوى عشرة رجال، بأهليهم، حيث لجأوا إلى بعض المبانى القديمة، واستطاعوا الارتقاء إلى أعلى تلك المبانى، وامتنعوا فيها للدفاع عن أنفسهم، وبالفعل تم تتبعهم، ومحاولة تصفيتهم، ما تبقى من نهار ذلك اليوم، حتى دخل الليل، ولم يتمكن العدو منهم، لصعوبة المكان الذى وصلوا إليه، وبعد أن انقضى وقتا من الليل، ويأس العدو من قتالهم، نزلوا تحت جنح الظلام، واستطاعوا اللحاق بمدينة باجة، وكان هؤلاء هم الناجون فقط من جميع سكان مدينة يابرة، وكانوا من وجوه أهل المدينة.[١٤].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكانت هذه الواقعة، هى التى استشهد فيها عامل يابرة، السالف الذكر مروان بن عبدالملك، حيث قتل فى داخل مسجد المدينة، وتم سبى جميع نساءه وولده وأهله، ويذكر أن عدد سبى النصارى لأهل يابرة، كان أكثر من أربعة ألاف من النساء والأطفال، وقتل من أهل المدينة من المسلمين، سبعمائة رجل. ويضيف ابن حيان : بأن أهل الغرب الإسلامى، ذكروا أنه لم تدر بالأندلس، على أهل الأندلس دائرة من قبل العدو، أشنع ولا أفظع من هذه الدائرة.(١٥). وهى بالفعل من المعارك القليلة، التى يتم فيها إبادة أهل مدينة بكاملها، وهو ما يدل على عظم المعركة، ويوضح أيضا الغصة التى تركتها فى نفس حاكم الأندلس آنذاك، الأمير عبدالرحمن الثالث، مما دفعه لاحقا إلى بذل قصارى جهده، بإرسال الصوائف إلى مدن الشمال، كى لا تتكرر هذه المأساة مرة أخرى.

ولعظم هذه الموقعة أيضا، وما خلفته فى نفوس المسلمين من ألم شديد، يضيف ابن حيان معلقا عليها قائلا : بأن الداخل إلى تلك المدينة، بعد خروج العدو منها بمدة، عندما يذهب إلى ذلك المأزق الضيق الذى حوصر فيه المسلمون، وأحيط بهم، ولم يجدوا منفذا للخروج منه، فيرى بقايا الجثامين. وقد ركب بعضها فوق بعض، تضم النساء والرجال، وقد اصطفت الجثامين فى سمك، يصل إلى قامة وقامتين إلى حائط السور، منظرا موحشا شنيعا. وقد عرف ذلك الموضع "بأسم الأفراتس "، وهى تعنى باللغة الأعجمية، المكان الضيق. (١٦). ورغم أن أردونيو حاز المدينة، وانتصر عليها ، إلا أنه تركها فى اليوم التالى من فتحها مباشرة، وهو يوم الخميس، عائدا مع قواته، إلى مدينة جليقية (١٧).

والحقيقة أن العودة السريعة للملك أردونيو، رغم انتصاره، تضع علامات استفهام كثيرة، أهمها، أنه لم يكن ينوى منذ البداية الاحتفاظ بالمدينة، وإنما هى مجرد انتهاز لفرصة، انشغال الدولة الأموية بالأمور الداخلية، ومحاولة لإحراز نصر سريع، على أضعف نقاط الدولة الإسلامية، وهو يعرف جيدا أن الإمارة فى قرطبة، لن تغض الطرف عن هذا العدوان على الأراضى الإسلامية، وهو لن يستطيع الاحتفاظ بهذه المدينة، وهو ما حدث بالفعل لاحقا.

وقد كان الجزع والفزع الذى حدث من جراء تلك الغزوة، أن سارع أهل الغرب الأندلسى إلى تحصين مدنهم، وإصلاح أسوارها، خوفا من التعرض لنفس مصير يابرة، وكان على رأس هؤلاء، أهل مدينة بطليوس كبرى مدن الغرب الإسلامى (١٨). ولذلك قاموا تحت قيادة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أميرهم عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن مروان بن يونس [١٩]، كى لا يحل بهم ما حل بـإخوانهم فى يابرة، وكان سور المدينة قد بنى من التراب والطوب المشمس، فشد عاملهم مـن عـزائمهم ، وتولى النظر بنفسه فى ذلك الأمر، وشارك الجميع من المشايخ والعمال فى بنيان الـسور وتقويتـه، وأصبح عرضه عشرة أشبار لوحا واحدا، وتسارع العمل فيه حتى كمل فى مدة وجيزة من نفـس السنة [٢٠].

ويبدو أن السهولة التى خرب بها أردونيوا الثانى مدينة يابرة، وعدم الرد السريع والقـاطع من قبل الأمويين فى الأندلس، قد أغرته إلى معاودة الكرة مرة أخرى، وفى وقت قصير، فيذكر ابن حيان نقلا عن الرازى : أنه فى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م، خرج أردونيوا الثانى " ملـك الجلالقـة الكفرة " فى جموع غفيرة، قاصدا الأراضى الإسلامية، فمر فى طريقة بمكناسة الأصنام [٢١]، مـن أرض الجوف، وافتتح حصنا يسمى حصن الحنش، ونكل فيه بالمسلمين، ويسترسل ابن حيان : بأنه بعد أن وطد أركان ملكه، واستوثق من حاشيته، واجتمعت كلمة القوامسة عليـه، قـام بحـشد النصارى، عند مدينة بنبلونة [٢٢]، وسار بهم إلى سيف البحر، وهى فى أقـصى أراضـى جليقيـة، ويقدر ابن حيان عدد الجيوش النصرانية فى هذه المرة بحوالى ستين الفا [٢٣].

وبعد أن اجتمعت له هذه الحشود خرج من حاضرته مدينة ليون، قاصدا مدينة سمورة[٢٤]، وبها اكتملت حشوده، فخرج منها قاصدا الأراضى الإسلامية، والمسلمون يومئـذ فى حالـة مـن الضعف والفتن وتفرق عن الجماعة، وكان أردونيو هدفه الرئيسى مـن تلـك الحملـة، مدينـة ماردة[٢٥]، وهى يومئذ من أكبر حواضر الغرب الأندلسى، فعبر بحشوده وادى تاجة، واصـطحب معه الأدلاء من النصارى، ومن المسلمين الفسقة، على حد تعبير ابن حيان، وعلـى رأس هـؤلاء المسلمين الأدلاء رجلين من بربر مصمودة من البرانس، فقربهما واصطحبهما على الخيول الضخمة، وقدمهما على عساكره، ليعاجل مدينة مكناسة قبل أن يتنبه أهلها من المسلمين، ويأخذون حذرهم واستعدادهم[٢٦]. وأمر الدليلان المسلمان بالتقدم بالخيل التى قربها لهما، وهو وجيشه فى أثارهمـا، فعبرا بناء على أوامره نهر آنة، بالقرب من حصن يسمى مدلين، وبهذه الخطة الـتى رسمهـا لهمـا، سيصبحان بوسط بلد الأصنام، ويباغتا أهلها بشن الغاره عليهم، وتخفى الدليلان فلم تقع عليهمـا العيون، وعبرا نهر وادى آنة، وهنا أفاقا إلى شنيع صنيعهما بالمسلمين لصالح هذا الملك النصرانى، و تملكتهما رقة وشفقه على أهل دينهما، وتخوفا من عواقب اجتياح أردونيو، لمدينة مكناسة الأصنام،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاتفقا فيما بينهما على عدم الانصياع لأوامر الملك النصرانى، والنكث بوعودهما له، وتركا المكان السهل الذى أمرهما أردونيوا باتباعه، واتبعا طريقا أخرا أكثر وعورة وضيقا، كى يتيهوا بالخيل التى معهما طوال الليل، فلا يصبحون إلا وقد أفسدا خطة أردونيو، ونجحت خطتهم وظل جيش العدو الذى يصاحبهم، يرفل طوال الليل فى أماكن وعرة، لا يجدون منها مخرجا أو منفذا، حتى أشرق الصباح، مما أعطى فرصة للمسلمين بالانضمام إلى الحصون التى يريد العدو الإغارة عليها، واستعدوا لاستقبال العدو، والزود عن حصونهم، وأراضيهم. وهنا لحق أردونيو بمقدمة جيشه، فوجدهم وقد نال منهم وخيلهم التعب والإعياء بصورة كبيرة، فأمر أردونيو بجمع الأدلاء وقال لهم " اركبوا بى السهل، فحسبى ما لقيت من طريقى بالأمس "، فأخذوه إلى سهلة الأصنام، حتى وصل إلى حصن مدلين، ولم يلق فى هذا الطريق وعورة، ففطن إلى حيلة الدليلين المسلمين، فدعا بهما، ووبخهما على ما فعلا بمقدمة جيشه، فاعتذرا عن هذا الخطأ غير المقصود، وأنه كان بفعل ظلمة الليل، ولكنه لم يصدقهما وقال لهما " لا، ولكن حمية الإسلام أمالتكما عن نصيحتى، وحملتكما على كفران احسانى، وأردتما هلاكى "، ثم أمر بضرب أعناقهما، ورجعت هذه الغارة، دون أن تحقق أهدافها، عدا غنائم متوسطة من السبى، وبعض الماشية الكثيرة، وكان أهل حصن الموطن قد فر عنه ليلا وأسلموه للعدو، فدخله أردونيو، وهدمه، وبات فى مكانه(٢٧).

ثم واصل أردونيو مسيره إلى قلعة الحنش، وكان يسكنها يومئذ البربر البرانس من كتامة، وكانوا قد نزحوا من قبل، وتم إجلاءهم من حصن سكتان، وكانت أعدادهم كبيرة، يتمتعون بالقوة والبأس، وكان المقدم عليهم يعرف باسم ابن راشد (٢٨)، فلما اقتربت مقدمة جيش العدو من حصنهم، برزت لهم خيولهم، خارج الحصن، ونشبت بين الفريقين قتال، وتكاثرت عليهم جيوش العدو، فانحازوا إلى حصنهم للاحتماء به، ونزل جميع سكان الحصن إلى أسفله، فى محاولة ليكونوا مددا لرجالهم ، ولكن جيوش العدو أخذت تترى عليهم، واستطاع العدو أن يملكهم، وأبادهم عن أخرهم، إلا القليل الذى نجا بالركض أثناء انشغال العدو بجمع الغنائم، ودخل العدو الحصن، وقتل جميع من كان فيه، وسبوا النساء والذرارى، وقتل قائدهم ابن راشد فى جملة من قتل، وتم هدم الحصن كأنه لم يكن، وأقام العدو ليلته على أنقاضه (٢٩).

وذكرنا منذ البدايه لهذه الحملة، أن الهدف الرئيسى منها كان، مدينة ماردة، وبالفعل فى اليوم التالى من هدم حصن الحنش، رحل أردونيو بجيوشه مباشرة إلى مدينة ماردة، واستخدم الحيلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعدم عبورة، وادى آنة، كى لا يتنبه أهلها، ويتخذون الحيطة، وذهب إليها من ناحية الغرب، بحيث أصبح الوادى بينه وبين المدينة، وأعاد ضبط عسكره، فلم يشذ منهم فارس عن الدور الذى يناط به، واستقبل قصبة المدينة، التى تقع عند القنطرة، وهناك وقف طويلا متأملا ومتعجبا من متانتها، ودقة بنيانها، وخرجت إليه خيل مدينة ماردة استعدادا لقتاله، ولكنه كان قد اتخذ قرارا بعدم القتال، لما عاينه بنفسه من منعة المدينة، ورغم ذلك اتخذ حاكم المدينة محمد بن تاجيت ، قرارا بملاطفته، بل وأهدى له فرسا رائعة من عتاق الخيل بسرجه ولجامه، وقبله أردونيو وأعجب بالهدية، وترك المدينة ورحل عنها (٣٠).

ولكن يذكر ابن خلدون : أن اردونيو، بعد هذه الغارة لم يعد مباشرة إلى بلاده، بل عاث فسادا فى طريق العودة، فى تلك المنطقة، وأعمل القتل والسبى بين سكانها، وقتل وسبى الكثير بينهم، وتمكن من الاستيلاء على بعض القلاع، ثم توجه إلى مدينة أخرى من كبريات مدن الغرب الإسلامى، وهى مدينة بطليوس، التى فزع أهلها، ولكنهم تمكنوا من استرضاءه بالأموال والحلى، فترك مدينتهم، وقفل عائدا فى جيوشه، عابرا نهر دويرة، يجر الكثير من الغنائم والسبى، دون أن يعترضه أحدا، إلى أن وصل إلى بلاده (٣١).

وينتقد ابن حيان تلك الهجمات، فى غيظ شديد، حيث نراه يخرج عن وقار العالم والمؤرخ، ويوسم أردونيو بعبارات، فيها نوع من الشتائم، التى تنم عن غيظ وغيرة وحمية، على ما حدث بأرض المسلمين، من جراء هذه الهجمات المتكررة، من هذا الملك النصرانى، فنراه يقول عنه: وهو يصف عودته بعد هذا الدمار الذى ألحقه بالأراضى الإسلامية قائلا : " فلحق ببلده، ألحقه الله بأمة النار الحامية " (٣٢).

ويستعرض ابن حيان الظروف التى تولى فيها اردونيو الملك، وانه اجتمعت عليه الكلمة فى مملكته، لجده فى جهاد المسلمين من وجهة نظر، رجاله وقوامسته، أى رجال دينه، ولكنه قبل أن يختم تلك النقطة فى حديثه عنه، لا ينسى أن يبشر بقرب انقشاع هذه الغمة التى، أجهدت المسلمون كثيرا، وبخاصة فى الشمال والغرب الإسلامى، من أرض الأندلس، فنراه يقول : " فكف الله بأسه، برد الكرة لهم، باجتماع كلمتهم ـــ يقصد المسلمون ـــ عما قليل على الخليفة الناصر لدين الله ، شاعب (٣٣) صدعهم، بفضل الله " (٣٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكل ما سبق ذكره ، من تطاول العدو وعيثه فسادا فى أراضى المسلمين، ما كاد عبد الرحمن الناصر، أن تستتب له الأمور إلى حد ما، حتى أسرع بإرسال أول الصوائف إلى الشمال الإسبانى، وذلك فى بداية سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م، حيث أرسل الناصر، إلى دار الحرب (٣٥)، وكانت هذه الصائفة الأولى بقيادة الوزير ، أبا العباس أحمد بن محمد بن أبى عبدة، ويضيف ابن حيان : بأنه ذهب مشكورا سعيه إلى جهاد أعداء الله الكفرة، الذين شقوا عصا الطاعة والجماعة، وخرج أبو العباس فى جمع كثيف، مسلح بقوة كبيرة، وفصل بالجيش يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر المحرم سنة ٣٠٤ هـ، ٩١٦م، وكانت تلك أول الغزوات والصوائف على الإطلاق إلى أرض العدو، على حد تعبير ابن حيان، فدخلت تلك الصائفة، إلى أطراف أرض العدو، ونشرت الرعب والفزع فى قلوبهم، بعد عهد طويل من الأمن، وجال فى نواحيهم، وأداخ بلادهم ثم عاد بالمسلمين سالمين ظافرين غانمين (٣٦).

ورغم شح المعلومات التى أمدنا بها ابن حيان، عن أول صوائف الناصر، والتى يبدو أنها لم يكن فيها التحاما حقيقيا، بالمعنى المفهوم، فى وصف المعارك الحربية، كما وصف لنا من قبل، غارات النصارى على المدن الإسلامية، ولكن يبدو أنها حققت الهدف المنشود منها، باستعراض القوة من ناحية، والتجهيز للصوائف التالية، بمزيد من الاستعدادات والمكاسب. ويذكر ابن عذارى : عن تلك الصائفة أيضا، تقريبا نفس ما كتبه ابن حيان، دون إضافات تشفى الغلة، بمزيد من التفاصيل، حيث يقول : سير عبدالرحمن وزيره وقائده، أحمد بن محمد بن أبى عبدة، على رأس جيش مجهز وقوى، قاصدا أراضى مملكة ليون، واشتبك مع النصارى فى عدة معارك محلية، وتمكن من هزيمتهم، وتجول فى أراضيهم، وسبى وغنم غنائم كثيرة، ثم عاد بالمسلمين محملين بالغنائم (٣٧).

وفى تلك السنة أيضا، أرسل الناصر صائفة أخرى، ولكن هذه المرة، إلى إخضاع بعض الخارجين على الإمارة الأموية فى قرطبة، وقد تمكنت هذه الصائفة، بقيادة الوزير القائد إسحاق بن محمد القرشى المروانى، وبعد أن أدت المهمة الموكلة إليها من إخضاع الخارجين، أن تفتتح حصنا من أمنع الحصون فى تلك المنطقة وهو حصن أوريولة، والذى يمثل قاعدة لمدينة تدمير(٣٨)، وكان هذا الحصن منيعا بحيث اتخذته الأعاجم فى الأزمنة الأولى، ملاذا وملجأ، ولذلك بالغت فى تحصينه وتقوية أركانه وعمارته، وأقاموا له الاحتفالات بما جلبوا له من عجائب الزروع والأشجار والأغراس، فحفل الحصن بأطايب الثمر (٣٩). ويدل هذا الاستيلاء على هذا الحصن على وجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التحديد ، بأنه بداية وتمهيدا واستعدادا باتخاذه قاعدة قوية، تكون مركزا لانطلاق الصوائف، ناحية الشمال الإسبانى.

أما فى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م، فقد أرسل عبدالرحمن الناصر قائده، أحمد بن محمد بن أبى عبدة، للمرة الثانية إلى أرض النصارى، وذلك ردا على غارات أردونيو الثانى، الذى أراد الانتقام من هزائمه المتكررة، أمام الجيوش الإسلامية، فعاث فسادا فى منطقة طلبيرةTalavera(٤٠)، فقام بحرق المدن، ونسف الضياع، مما حذا بأهل هذه المنطقة من المسلمين، الاستنجاد بالناصر، ليرفع عنهم البلاء الذى وقع عليهم من جراء هذه الهجمات المدمرة. ولذلك جهز عبدالرحمن جيشا ضخما، لكن للأسف كان جله من المتطوعة، والمرتزقة، ووصل المسلمون إلى أراضى قشتالة، ومنها زحفوا إلى قلعة شنت إشتيبن San Esteban، الحصينة، والتى تقع على نهر التاجو Tajo، وكان يطلق على هذه القلعة أيضا اسم كاسترو مورش Castro Moros، وكانت من أحصن قلاع النصارى، وتقع بموقع فريد على الحدود بين الطرفين، ولذلك ضرب المسلمون عليها الحصار، أملا فى إسقاطها، وبالفعل كادت أن تسقط فى أيدى المسلمين، لولا وصول أردونيو الثانى بنفسه لإنقاذها فى جموع غفيرة من النصارى، ورغم أن الجيش الإسلامى فى هذه الصائفة، كان متفوقا من حيث العدد والعدة، ولكنه كان مختلا من حيث التنظيم، وذلك لأنه يضم العديد من الأجناس المتباينة فى الهدف والمبادىء، إذ يتألف معظمه من البربر والمرتزقة، الذين لا يمكن الاعتماد عليهم كثيرا، من حيث الولاء، والشجاعة، وحرصهم الشديد على جمع الغنائم، أكثر من حرصهم على الثبات والقوة فى مواجهة العدو، ولذلك عندما وصل أردونيو بقواته الغفيرة، لفم يصمدوا كثيرا أمامه، بل تسللت منهم وحدات كثيرة، كان لها أهداف أهم من القتال وردع العدو، مما أحدث فوضى فى صفوف المسلمين، مكنت أردونيو من حسم المعركة لصالحه. (٤١).

وكان من أبرز وأهم نتائجها مقتل قائد الناصر الشجاع الذى فضل الموت فى ثلة من رجاله وجنده، على الفرار من أرض المعركة، فتكاثر عليهم العدو، وقتلوا جميعا، وكانت من أثقل الهزائم التى لقيتها جيوش الناصر فى الشمال الإسبانى (٤٢).

وقد تضاربت الروايتان الإسلامية والإسبانية حول تلك الغزوة، فقد ذكر ابن حيان، أن فلول الجيش الإسلامى، وبعد مقتل قائد الصائفة، استطاعت أن ترتد، بما تبقى لها من متاع، إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

داخل الأراضى الإسلامية، وفى ذلك يقول ابن حيان : " وانعقد سائر المنهزمين بعد الحطمة، فصاروا يدا واحدة، تنكب المشركون إتباعهم، فسلموا من مخرجهم إلى بلد الإسلام بدوابهم وأثقالهم، فقفلوا مفلولين قد عظمت المصيبة منهم (٤٣).

أما الرواية الإسبانية المسيحية فتقول : بأن هزيمة المسلمين كانت ساحقة، وبلغ من عظم ما قتل فيها من أعداد كبيرة من المسلمين، بأن امتلأت معظم السهول والغابات بل والتلال الممتدة فى الجنوب ما بين دويرة إلى أنتيسة Atienza ، بقتلى وأشلاء المسلمين (٤٤).

وقد أحدثت هذه الهزيمة الثقيلة لتلك الصائفة حزنا شديدا فى عاصمة الأمويين مدينة قرطبة، وأراد الناصر أن يخرج بنفسه للرد على تلك الهزيمة المروعة، ولكن أمورا أخرى شغلته عن المبادرة بالذهاب بنفسه. وكانت تلك الهزيمة كافية لكى يعاود أردونيو الثانى الكرة مرة أخرى لشن الغارات على الأراضى الإسلامية، وفى هذه المرة تحالف مع سانشو (أو شانجه بن غرسية البشكنسى) على حد تعبير ابن حيان، قومس بنبلونة، وذلك فى ربيع سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٨ م، فعاثوا فسادا فى أحواز مدينتى ناجرة Najera وتطيلة (٤٥)، وهما من مدن الثغر الأعلى، واستولوا على مدينة بلتيرة Valterra (٤٦)، بعد قتال عنيف وقهر لأهل الربض به، بل وأحرق المسجد الجامع به ، ويعلق ابن حيان، على نهاية هذه الغارة قائلا : " وانقلب الكفرة، لعنهم الله، إلى بلادهم أعزة، فكان فعلهم هذا مما أحفظ الناصر لدين الله، وحركة لمجاهدة أعداء الله ورغبه فى الانتقام منهم بمن الله تعالى " (٤٧). ولم يتأخر الرد كثيرا على كل تلك الهجمات، التى شنها أردونيو، ومن تحالفوا معه، وكان عبدالرحمن يتحرق شوقا إلى استعادة الهيبة، ومقتل أهم قواده فى موقعة شنت اشتيبن ، ولذلك أخذ يعد العدة لحشد جيشا قويا، وأرسل لهذا الحشد بالكتب فى كافة المدن والثغور لمعاونته، فى الرد على عدوان نصارى الشمال الإسبانى.

ففى شهر المحرم من سنة ٣٠٦ هـ / أوائل يوليو سنة ٩١٨ م، أى فى العام التالى مباشرة للصائفة سالفة الذكر، أرسل الناصر هذه الصائفة، وآمر عليها حاجبه بدر بن أحمد (٤٨)،وقد عرفت هذه الغزوة بغزوة مطونية ـــ نسبة إلى المكان الذى تم فيه الالتحام بين الفريقين ـــ وفصل الحاجب بدر بن أحمد بالجيش، قاصدا الثغور العليا، وهناك توافدت إليه حشود المسلمين الثائرين، المطالبين بالانتقام لإخوانهم الذين قتلوا مع الوزير القائد أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبدة، وبعد اكتمال الجموع، اقتحم بهم الحاجب بدر، أرض العدو، وعلى حد تعبير ابن حيان فيما فعله بهم، يقول " فوطيء حريمهم، وأداخ بلدهم، منتسفا لغلاتهم، هادما لمصانعهم، حاطما لمعايشهم، ولقيهم أعداء الله مستطيلين عليهم، لحين اقتراب من فرحتهم، بظفرهم واستغلاظ من شوكتهم " (٤٩).

ونلمح من خلال هذا النص، أن ابن حيان، يكتب بقدر كبير من الشماتة فيما حدث بقوات العدو، نظرا لما أحدثه من خسائر كبيرة بالمسلمين فى غارات سابقة، مستغلا حالة الإمارة الأموية فى ذلك التوقيت، والتى ضربتها الفتنة، واضطراب الأمور.

ودارت بين الفريقين حربا طاحنة، حاول كل فريق بما لديه حسمها لصالحه، ولكن المسلمون اشتدوا عليهم، وأمدهم الله بالنصر، وقذف فى قلوب أعدائهم الرعب، فولى النصارى هاربين، واعتصموا بالجبال، وتتبعهم المسلمون فى أماكنهم الوعرة التى احتموا بها، ونشبت بينهم موقعتين تاليتين، فنى فيها العديد من النصارى، وظفر بهم المسلمون، وأمعنوا فيهم قتلا وأسرا، وأفاء الله عليهم بمغانم كثيرة، وكثر الأنفال والسبى، وقام الحاجب ولكثرة الغنائم، بتقديم صاحب الشرطة العليا فى الأندلس، للنظر وتقسيم السبى والغنائم، فقسمه بما هو معروف على السواء، ثم عاد الحاجب بدر إلى قرطبة، مسرورا ظافرا، بعد أن قام بإصلاح الثغر، واستأمن أهله من المسلمين، بعد معاناة طويلة من غارات الشمال الإسبانى (٥٠). ويتفق ابن عذارى فى روايته حول تلك الصائفة، مع رواية ابن حيان فى تاريخ الالتحام فى كل مواقعها، حيث يقول أنها كانت فى الثالث والخامس من شهر ربيع الأول سنة ٣٠٦ هـ / الثالث عشر والخامس عشر من شهر أغسطس سنة ٩١٨ م (٥١).

ويضيف ابن حيان : حول نفس الصائفة، ولكن برواية أخرى عن عريب بن سعيد (٥٢)، وذلك بعد أن استعرض أحداث الصائفة، باختلافات طفيفة، بأنه ورد الكتاب على الناصر بتلك الصائفة المظفرة، وكان ذلك يوم الجمعة لإحدى عشر خلت من ربيع الأول، من نفس السنة، فملأه السرور، وشكر الله كثيرا، وأمر بقراءة هذا الكتاب فى الجوامع، وكتب بذلك إلى جميع الأطراف (٥٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورغم ما لقيه النصارى من هزيمة ساحقة، إلا أنهم عادوا إلى سالف أفعالهم، فى الإغارة والعيث فسادا فى أراضى المسلمين، فلم يمض وقتا طويلا، وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٠٧ هـ، فيذكر ابن حيان، بأن الأخبار وصلت إلى عبدالرحمن الناصر، بتهيؤ أردونيو الثانى، بالخروج إلى نواحى أرض المسلمين، مستغلا كعادته، انشغال عبدالرحمن بذلك الصراع المرير، مع ألد خصومه، عمر بن حفصون، ثم أولاده من بعده، وأن أردونيو قد حشد لذلك حشودا كبيرة، واستعد للسفر إلى ثغر الجوف من أراضى المسلمين، فانزعج عبدالرحمن بشدة، وعلى الفور، آمر قائده الوزير إسحاق بن محمد المروانى، وأمره بالخروج، إلى تلك الناحية، وعقد له على جيش كثيف خرج معه، وتمت مخاطبة القواد والعمال، والأمناء، باستنفار الناس والتوجه إلى ثغر الجوف، لمساعدة من تجمع من المسلمين فى هذه المعضلة ـــ على حد تعبير ابن حيان ـــ وعندما علم أردونيو بخروج تلك الحشود الغفيرة من المسلمين، نحوه، خاف وارتد متقهقرا إلى الخلف وعدل عن مواصلة الإغارة، وفضل العودة وعدم المواجهة، وكفى الله المسلمون شره فى تلك الصائفة، ولكن الوزير إسحاق بن محمد، فضل الإقامة مدة من الزمن فى ثغر الجوف مستعرضا قوته من ناحية، وخوفا من عدول أردونيو، والعودة مرة أخرى، فلما تبين له عدوله عن المواجهة بصفة مؤكدة، عاد إلى قرطبة (٥٤).

ورغم عدم الاشتباك فى تلك الصائفة، ولكنها قد تركت هى، وغيرها غصة فى حياة عبد الرحمن الناصر، الذى عزم على وضع حلول جذرية، للجهاد ضد هذا الطاغية بنفسه، وتوفير الكثير من وقته وجهده للإعداد " بإعمال الغزو بالصائفة إلى دار الكفرة جليقية "، فبدأ فى الإعداد ووضع الخطط، والنظر فى الأسباب، والاحتفال لا فيما يجمعه من العدد والعدة، علاوة على إصداره الأوامر بمخاطبة كل القواد والعمال، بكافة أقطار الأندلس،واستنفار المسلمين لجهاد أعداء الله، وترغيبهم بالخفة فى النهوض إلى العدو، وصدر منه فى ذلك الأمر، كتاب طويل مشهور، كان من إنشاء متقلد الكتابة العليا، عبدالرحمن بن الحاجب بدر بن أحمد، وكتب لعبدالرحمن منشورا، تم إذاعته بين أهل قرطبة، وذلك فى مسجدها الجامع، كانت خلاصته الحض على الجهاد، والنهوض إلى العدو، وكانت تتم قراءة هذا المنشور، فى صلاة الجمع المتتالية، كى يسمعه أعدادا كبيرة من أهل قرطبة، ويبدو أنه حقق الهدف المنشود منه، حيث تاقت نفوس الناس للجهاد،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقويت عزائمهم للخروج مع سلطانهم ، وأصبح أهل قرطبة فى حماسهم، قدوة، لأهـــل الطاعـــة فى سائر أنحاء الأندلس (٥٥).

ويسترسل ابن حيان حول استعدادات الناصر، لوضع حد لتجاوزات غـــارات الـــشمال الإسبانى، ويقول : إنه استعمل خطة جديدة، لم يستعملها من قبل فى ترهيب العدو، وهى (التبريـــز) (٥٦)، ولم يذهب لهذه الصائفة، الا بعد أن اكتملت له كافة الحشود التى كانت تزداد يوما بعـــد يوم، بما توافيه به مدن الأندلس، من طوائف المجاهدين، واكتملت حشوده على حسب ما أحـــب وأراد لها، ففصل بها فى المحرم سنة ٣٠٨ هـــ (٥٧).

تختلف هذه الصائفة اختلافا جذريا، عن كل الصوائف التى سبقتها، والتى مثلت عمليـــات متواصلة من الكر والفر بين الطرفين، وقد جاء هذا الاختلاف، من خروج حـــاكم المـــسلمين فى الأندلس بنفسه، تتبعة جيوشا جرارة، لم يعهدها الشمال الإسبانى المسيحى من قبل.

* أول صوائف الناصر بنفسه.

خرج الناصر من عاصمته مدينة قرطبة، يوم السبت الثالث عشر من شهر المحرم سنة ٣٠٨ هـــ - الموافق الأول من يونيو ٩٢٠ م، ويطلق ابن حيان على هذه الصائفة غزوة مونش (٥٨)، فى حين يطلق عليها ابن عذارى اسم مويش (٥٩). ويضيف ابن حيان فى بداية حديثه عن هذه الصائفة، أن الأمور الجسام التى كانت تشغل الناصر، بخروج أهل الخلاف والصادعين بالعصيان، لم تثنه هذه المرة فى الخروج بنفسه، فى أول غزواته إلى أهل الشرك، على حد تعبيره (٦٠).

ويسترسل ابن حيان نقلا عن الرازى فى وصف أحداث هذه الصائفة بالتفصيل قائلا : كان أول ما احتل فى طريقه مدينة الفرج، والمسماة بوادى الحجارة (٦١)، وكان قد وصـــل إليهـــا فى الرابع والعشرين من شهر المحرم، وولى فى هذا اليوم خطة الوزارة إلى سعيد بن المنـــذر القرشـــى، وعينه أيضا واليا على مدينة وادى الحجارة (٦٢). وقد جاءت رواية ابن حيان التى نقلـــها عـــن الرازى، مختصرة جدا، ولا تفى بالغرض الذى من أجله خرجت هذه الصائفة الكبيرة (٦٣)، ولهذا فضلنا الاعتماد فى سرد أحداث هذه الصائفة على رواية ابن حيان نقلا عن، عريب بن سعيد، فقد جاءت أكثر تفصيلا، وأمدتنا بكثير من المعلومات التى لم تذكرها الرواية السابقة. وهنا يذكر ابـــن حيان، نقلا عن عريب بن سعيد ويقول :- وبعد ان اتفقت الروايتان فى تاريخ خروج الـــصائفة،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يذكر أن الناصر ترك خلفا له فى القصر الخلافى بقرطبة، ابنه وولى عهده الأمير الحكم (٦٤)، واصطحب معه من صفوة وزراءه، الوزير موسى بن محمد بن حدير (٦٥)، أما بعض الإضافات التى جاءت فى هذه الرواية، ما ذكره حول ورود كتاب عامل مدينة الفرج، أو وادى الحجارة على الناصر، بالفتح فى تلك المدينة، علاوة على إمداد عامل المدينة له، بالأخبار وحشود ملوك النصارى، استعدادا له، وأن ملوك النصارى عندما علموا بخروج الناصر، قاموا بغارة سريعة على بسائط مدينة الفرج، وحاولوا الاستيلاء على الدواب والسوائم ـــ وهى الإبل والماشية التى لا تعلف، وترسل للرعى ـــ طمعا فى أخذها من مراعيها، ولكن احتشد لهم أهل البلد فارسهم وراجلهم، وقاتلوهم، حتى ولوا الأدبار، وتتبعوهم قتلا وأسرا، وأعملوا فيهم السيف، من أول اليوم إلى أخره، وأرسلوا إلى الناصر جملة من رؤوس أكابرهم (٦٦).

وكان هذا الالتحام بداية للنصر، حيث استبشر به الناصر لدين الله وتفاءل باسم المكان الذى ورد عليه فيه كتاب الفتح، ونهض بعدها والحشود والعساكر تتلاحق عليه من جميع أنحاء الأندلس، وجمعه يكبر، وأعداده تكثر، حتى نزل بهم باب مدينة طليطلة (٦٧).

وهنا بادر بالخروج إليه صاحب مدينة طليطلة، لب بن الطربيشة " مداجن يظهر طاعة تحتها معصية "، ثم وصل إلى وادى الحجارة، كما ذكرنا سالفا، وأهلها طائعون لائذون به، فنظر الناصر، وتحرى الدقة فى حل مشاكلهم، فعزل عنهم بنى سالمة (٦٨)، وقد شكوا إلى الناصر منهم، واستعمل عليهم، قائده وموضع ثقته، سعيد بن المنذر القرشى، سالف الذكر، علاوة على تقليده خطة الوزارة، ورغم كل تلك المناصب التى أغدقها الناصر عليه، اصطحبه معه للغزو، فاستخلف الوزير مكانه، أحد أقاربه ابن غزلان القرشى، فعم الرضا بين أهل وادى الحجارة بتلك الحلول الناصرية، وخرج غالبيتهم للجهاد معه (٦٩).

ثم واصل الناصر زحفه تتبعه جيوشه الجرارة، من وادى الحجارة، حتى احتل ثغر مدينة سالم، ثم منها متقدما للثغر الأقصى، ثم عرج بالجيش إلى طريق ألبة والقلاع (٧٠)، وأسرع فى السير، حتى وصل إلى وادى دويرة، ليأخذ به قسطا من الراحة، ومن ذلك المكان أخرج فى صباح اليوم التالى للمبيت فيه، قائده الوزير سعيد بن المنذر القرشى، فى جرائد الخيل، وسرعان الفرسان، إلى حصن وخشمة، يسابق الزمن فى الجد والسير، حتى اقترب من الحصن، ولجأ إلى الحيلة، حيث سرح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخيل قبل الوصول للحصن مباشرة، والهدف مفاجأة العدو، وأخذهم على غرة، وهم فى حالة سكون وغفلة، وقد كان ملوك النصارى عندما علموا بخروج الناصر، قد لجأ أردونيو إلى مكايدة للناصر، وكاتبه متوعدا بالهجوم على الأراضى الإسلامية، فأظهر الناصر صبرا وإصغاء لمثل تلك المكايدات، إلى أن تمكن من حشد الخيل، التى غشيته مباغته له ولقومة على حين غفلة منهم، فوطأتهم وأثقلت عليهم، وأصابوا سوامهم ودوابهم، التى ترعى، بدون حراسة منهم، فغنمها المسلمون جميعها، وعادوا إلى معسكرهم سالمين (٧١).

وفى يوم الجمعة الثامن عشر من شهر صفر سنة ٣٠٨ هـ، وبعد أن أخذت الجيوش قسطا من الراحة، اندفع الناصر بأفضل تعبئة وترتيب لجيوشه قاصدا حصن وخشمة (أوسمة)، ويبدو أن الأنباء كانت قد وصلت العدو، بخروج الناصر، حيث فر ساكنوه، وأصابه المسلمون خلاء، فأضرم الناصر فيه النيران، وبات ليلته فى نفس المكان بجوار الحصن، وفى اليوم التالى، يوم السبت رحل إلى حصن قاشترة مورش أو شنت أشتيبن، الذى لقى فيه المسلمون هزيمة ثقيلة من قبل، حيث كان هذا الحصن يعتبر قاعدة الثغر الخاص بالنصارى، والموضع الذى تخرج منه جيوشهم للإغارة والاستطالة، على الأراضى الإسلامية، فلما رأى النصارى صمود الجيوش الإسلامية فى مواجهتهم، وظفرهم بهم فى عدة مواقع سابقة، لاذوا بالفرار، هائمين على وجوههم، ودخل المسلمون الحصن، دون قتال، وغنوا وأصابوا جميع ما فيه، وخربوه، وخربوا أيضا حصن القلعة، المجاور له، ولم يتركوا للنصارى فى هذا الموضع أى سبل للحياة والنعم يمكن أن يعتمدوا عليها، إذا فكروا فى العودة مرة أخرى، وبات الناصر بجيشه فى حال عظيمة من السرور (٧٢).

وفى صبيحة اليوم التالى، يوم الأحد، انتقل الناصر من مكانه بشرقى حصن شنت أشتيبن، إلى موضع أكثر استقرارا فى غربى الحصن، وكانت المسافة بين الموضعين تقدر بحوالى ميل، ويبدو أن التحرك السريع للناصر بجيوشه، كما ذكر ابن حيان : كان الهدف منها، الإسراع فى تقصى وتعقب، جيوش النصارى. ويبدو أنه لم يلتحم معهم فى هذا المكان، حيث انتقل منه إلى مدينة قديمة، أو أزلية، على حد تعبير ابن عذارى (٧٣)، من أمهات مدنهم تسمى قلونية، وهى من المدن المندثرة فى الأندلس حاليا، وأثناء ذهاب جيوش الناصر قاصدة تلك المدينة، دمرت كل ما قابلها فى طريقها، وقتلت وغنمت جميع ما قابلها فى طريقها، وعند الوصول إلى مدينة قلونية، وجدوها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خالية، تركها أهلها وفروا إلى أعالى الجبال المجاورة لها، فغنم المسلمون ما تركوه بالمدينة، واجتمعت جيوش الناصر على تخريب ديارها وكنائسها، لمدة ثلاثة أيام متوالية (٧٤).

وبعد أن تم تخريب مدينة قلونية بالكامل، رحل عنها الناصر يوم السبت لخمس بقين من شهر صفر، نفس العام، قاصدا ثغر تطيلة،، فى أقصى الثغر الأعلى، ملبيا صراخ أهله من المسلمين، الذين استنجدوا به، ضد هجمات شانجة بن غرسية البشكنشى، صاحب بنبلونة، وكان قد والى الخروج إليهم، مضيقا عليهم وكانت جيوش الناصر قد نال منها التعب، فاستخدم الناصر الرفق فى الارتقاء بجيشه فى الوصول إلى تطيلة كى لا يثقل عليهم، لبعد المسافات، واتصال السفر، ووعورة الطريق، وكثرة المفاوز، الموازية لوادى دويرة طريق سير الجيش، وتمكن من احتلال حوزة تطيلة، ومن هناك قدم الخيل مع محمد بن لب بن قسى (٧٥)، أمير تطيلة، إلى حصن قلهرة، مفضلا البدء به، قبل الذهاب إلى تطيلة، وذلك لأن سانشو قد اتخذه رباطا، للهجوم على أهله، ولكن عندما علم سانشو باقتراب خيل المسلمين منه، فر هاربا بمن معه، فدخله المسلمون وضبطوا أموره، وغنموا جميع ما فيه، وأسرع الناصر بالوصول إلى الحصن، ونزل به، وأمر جموعه بتكسيره وتدميره، لمدة يومين، واجتهدوا فى ذلك، حتى تركوه أثرا بعد عين، وانتسفوا كل الأراضى المحطة به (٧٦).

وكان سانشو فد لجأ إلى حصن، أرنيط (أورنيدو)، ويقع إلى الجنوب الغربى من قلعة قلهرة، وقد أراد سانشو بمن معه من جموع النصارى، اعتراض طريق الجيوش الإسلامية، وهى المقدمة التى أرسلها عبد الرحمن الناصر، قبل أن يتحرك هو بغالبية الجيوش، وحدثت المناوشات بين مقدمة الجيوش الإسلامية، وبين سانشو وقواته، ثبت فيها أبطال المسلمين، وبادروهم برشق السهام، حتى تمكنوا منهم، وهزموهم، وولوا مدبرين، وتبعتهم الخيل قتلا وجرحا، حتى لاذوا وتواروا بشعاب الجبال، وحاز المسلمون الكثير من رؤوسهم، قاموا برفعها على أسنة رماحهم، مستقبلين بها عبدالرحمن الناصر، الذى كان قد وصل تتبعه بقية الجيوش، وكانت مفاجأة سارة لعبدالرحمن، حيث لم يكن على علم بتلك المعركة التى دارت بين مقدمة جيشة والنصارى، وبات المسلمون ليلتهم، ظاهرين على عدوهم، منبسطين فى قراهم ومزارعهم (٧٧).

وبعد كل هذه اللقاءات غير الحاسمة، لكلا الطرفين، حدث اللقاء الأهم فى تلك الصائفة، والذى أسفر عن هزمة ساحقة لقوات النصارى، وكان ذلك فى اليوم السادس من شهر ربيع الأول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة ٣٠٨ هـ - السادس والعشرون من يوليه سنة ٩٢٠م، وهو اللقاء الذى استعد له عبدالرحمن الناصر طويلا، فقد وردت الأخبار إلى عبدالرحمن بتحالف الملكين النصرانيين أردونيو ملك ليون، وسانشو ملك جليقية، طامعين من خلال هذا التحالف فى اعتراض مقدمة الجيش الإسلامى، ولكن يبدو أن عبدالرحمن كان يقظا، تأتيه الأنباء بسرعة حول تحركات العدو، ورغم انزعاجه من هذا التحالف، أمر كبار قواده، وأصحاب الحشم، بتعبئة العساكر، وإقامتها على الحدود، وضبط الأطراف، وقام بنفسه بالإشراف على تلك التعبئة، حتى ارتضاها ، ثم أوغل بتلك الجموع، إلى أماكن تجمع الجيوش المعادية، وهنا استخدم النصارى عنصر المفاجأة أيضا مستغلين مرور الناصر بجيوشه فى طريق وعرة، وجبال منيعة، فاقتربت مجموعة من كتائبهم، وهاجمت مؤخرة الجيش، وأخذوا يتصايحون بأصوات عالية، ويولولون، حتى يدخلوا الرهبة والضعف فى قلوب من يسمعهم، وشعر الناصر بخطورة موقف جيشه، فأمر من فوره الجيوش بالتوقف فى أماكنهم، كما أمرهم بالنزول ففعلوا ما أمرهم به، ثم بادر الناصر بالخروج بالناس من هذه الأماكن الضيقة، إلى السهل الفسيح القريب منها، وهنا طمع النصارى، استنادا بما فعلوه فى مؤخرة جيش الناصر، فتركوا قمم الجبال، والأماكن الوعرة التى كانوا يحتمون بها، ونزلوا إلى هذا السهل الفسيح الذى عسكر فيه الناصر، وحدث الاشتباك بين الطرفين، واشتد عليهم حشم الناصر، وأبطال الثغر، ووضعوا فيهم أسلحتهم، وحمى الوطيس بين الطرفين، وأسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة لتحالف النصارى، ودفعوا ثمنا فادحا، بتركهم أماكنهم، والنزول لملاقاة الجيش الإسلامى، وفر معظمهم مضطربين، لا يستطيعون الاهتداء إلى طريق عودتهم إلى ديارهم ، على حد تعبير ابن حيان " لا يهتدون لوجه منقلبهم "، والمسلمون فى آثارهم، يضربونهم فى الوجوه والأدبار، يقتلون من يلحقوه منهم، حتى أنقذهم من الفناء دخول الليل، الذى حال بينهم وبين المسلمين (٧٨).

ويمدنا ابن حيان بإحصائية حول فلول جيش النصارى، الذين تمكنوا من الهرب، ويقدرها بأزيد من خمسمائة (علج) - (هو لفظ كان يطلق على مقاتلى النصارى) وقد لجأوا بعد الهزيمة إلى حصن مونش، راجين الامتناع به، فأمر الناصر لدين الله عسكرة بالذهاب فى آثارهم إلى الحصن، وأحيط به وبهم من جميع جهاته، وبادر المسلمون بحربهم، حتى تغلبوا عليهم، وأخرجوهم جميعا منه، وتم قيدهم واقتيادهم إلى الناصر لدين الله، فضربت رقابهم جميعا بين يديه، وكان بالقرب من الحصن ما لا يحصى من الأمتعة والأبنية والآنية والحلى الفاخرة، حتى بلغ ما أصيب من خيولهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نحو ألف وثلاثمائة فرس، واستمر الناصر لمدة أربعة أيام يهدم ويخرب، ويحصد مزارعهم ، ويقطع أشجارهم، ويغير معالم عمران النصارى فى تلك المنطقة، ثم انتقل من هذا المكان، لإصلاح ما خربه النصارى من الأراضى الإسلامية، فتوجه يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، إلى حصن نقيرة (٧٩)، كان سانشو قد اتخذ من هذا الحصن، قاعدة للإغارة على الأراضى الإسلامية، وعند وصول الناصر، وجد الحصن خاليا، قد فر منه أهله، فأمر بهدمه، فألحق أعلاه بأسفله، ثم انتقل الناصر وفى نفس المنطقة، إلى حصنا أخر، وهو حصن بقيرة Viguera، وكان الحصن مأهولا بالسكان من المسلمين، فلم يبرح مكانه ، حتى أعطى أهل الحصن ألف مدى (٨٠) ، من الأطعمة، التى أفائها من النصارى، تقوية لأهله (٨١).

وبدأ الناصر عملية إصلاح واسعة، للأراضى الإسلامية فى تلك المنطقة، حيث أخذ يتنقل بين حصون المسلمين، محاولا تقويتها، والنظر فى مصالحها، وفيما يصلحها، وبقراءته للمشهد لبعض الحصون القريبة من أراضى النصارى، قام بهدم وإحراق بعضها، حتى لقد اتصلت تلك الحرائق فى بلاد النصارى، لمدة عشرة أيام، وأغدق على الناس من الأطعمة، ما جعل ابن حيان يقول : بأن الناس أسرفوا وبذروا من كثرة النعم، التى كثرت لديهم، حتى لم يجدوا بينهم مشتريا، لبعض غلالهم، حتى وصل بينهم سعر الستة أقفزة من القمح الفاخر، بدرهم واحد، ولا يجد من يشتريه، والأعجب من ذلك، أن الناصر ؛ عندما أراد الرحيل، أمر بجمع فائض الأطعمة، وأوقد فها النار، حتى أحرقت بكاملها (٨٢).

وعاد الناصر لدين الله، بعد تلك الجولة الطويلة، فى دار الحرب، عزيزا ظافرا، وذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من نفس العام، حتى وصل إلى مدينة أنتيشية (٨٣)، وهى من أعمال ثغر، مدينة سالم، التى خربها من قبل، فأمر بتكسيرها لمدة يوم، ووصل اليه رجال الثغر، فأغدق عليهم العطايا والأكسية، وأذن لهم فى الرجوع إلى موطنهم، وواصل سيره إلى عاصمة ملكه، مدينة قرطبة، حاملا معه من رؤوس النصارى، التى أصابها فى معاركه المذكورة، أعدادا عظيمة، عجزت الدواب عن حملها، على حد تعبير ابن حيان، رفعت هذه الرؤوس فوق الخشب ؛ حول مدينة قرطبة، ووصل الناصر إلى قصر قرطبة، يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٣٠٨ هـ - ٣٠ سبتمبر سنة ٩٢٠م، بعد أن قضى فى تلك الصائفة، تسعون يوما (٨٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتكاد تتفق الرواية الإسبانية، مع الرواية الإسلامية حول هذه الصائفة، ولكن الرواية الإسبانية عرجت على بعض التفاصيل، التى أغفلها ابن حيان فى روايته لتلك الصائفة، سواء الرواية المختصرة التى نقلها عن الرازى، أو الرواية المفصلة التى نقلها عن عريب بن سعيد. فقد جاء فى الرواية الإسبانية، أن الناصر لدين الله، وفى معركة خوانكيرا Junquera ، والواقعة بالقرب من مدينة بنبلونة، وهى فى عمق الأراضى النصرانية، وبعد الخسارة الفادحة فى صفوف النصارى، كان من بين الأسرى والقتلى، أسقفان من أكبر أساقفتهم، وهما دولثديو أسقف مدينة شلمنقة، والآخر أرمخيو أسقف مدينة توى، وكانا يحاربان فى صفوف النصارى كمجندين، علاوة على أن الرواية الإسبانية زادت عدد الفارين من الموقعة مابين الخمسمائة والألف، وأضافت الرواية أيضا، بأن الهزيمة كانت ثقيلة، جعلت عبدالرحمن الناصر، يقضى أربعة أيام كاملة، فى جمع الغنائم (٨٥).

ورغم الإنتصار الساحق الذى أحرزه عبدالرحمن فى تلك الصائفة إلا أنها، لم تضع حدا أونهاية لهذا الصراع المتواصل بين الشمال والجنوب، لتبدأ بعده مرحلة جديدة لإعداد المزيد من الصوائف.

وكان عبد الرحمن يرنوا إلى ردع ملوك النصارى، وكف أيد يهم عن تخريب وترويع المسلمين المتاخمين لهم ، ولم يمض من الوقت سوى عامين فقط، حتى قام أردونيو بالإغارة من جديد على الأراضى الإسلامية، وكان عبدالرحمن الناصر فى تلك الفترة مشغولا بقتال أبناء، أحد أهم ثوار الأندلس عمر بن حفصون، ولذلك، لم يتمكن من الذهاب بنفسه هذه المرة، وأمر على الصائفة مولاه ووزيره عبدالحميد بن بسيل، والذى توجه إلى مدينة بقيرة، المحاصرة من قبل سانشو حليف أردونيو، وكان أمير المدينة، والذى تولى الدفاع عنها، عبدالله بن محمد بن لب القسوى، وشاركه غى الدفاع عن المدينة، كبار زعماء بنى لب، وبنى ذى النون، ولكن تمكن سانشو بكثرة قواته من البشكنس أهل بنبلونة، أن يتغلبوا على المدينة، وتم أسر أميرها، وكثير من زعماء ووجهاء المدينة، وحملوا كأسرى إلى بنبلونة، وتم قتلهم جميعا، وكانت تلك الفاجعة من الأسباب التى أدت إلى نقد شديد لحاكم الأندلس عبدالرحمن الناصر، واتهمته الرعية بالتقاعص والتقصير فى حماية الثغور والقادة، وكبار رجال الدولة، ولذلك أسرع عبدالرحمن، إلى إرسال هذه الصائفة، رغم انشغالة بقتال الخارجين على الدولة، لتهدئة الأجواء، وتسكين المنتقدين، وذهب عبدالحميد بن بسيل، بجيش كثيف فى العدد والعدة، تمكن من إغاثة أهل الثغر الأعلى، وتمكن من الدخول إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة، تطيلة، وأهلها مازالوا على ولائهم وطاعتهم للناصر، وانطلق من مدينة تطيلة بعد أن تجمعت له حشودا أكبر من التى خرج بها، إلى أراضى بنبلونة للقاء سانشو صاحبها، وعلى حد تعبير ابن حيان فى وصف هذا المتجبر على المسلمين يقول : " وكان قد استطال على أهل الثغر، فنال منهم، وقطع سبيلهم، وضم أطرافهم "، فقاتله وبث الغارات بأرضه، حتى كسره، ثم تلاقيا وجها لوجه فى يوم جمعة، فأوقع به، وفرق شمله فارتدع النصارى إلى حين (٨٦).

كانت الصائفة السابقة، مجرد مسكن سريع، لغضب المسلمون من عودة غارات ملوك النصارى عليهم مرة أخرى، وحتى يتمكن عبدالرحمن من التجهز والذهاب بنفسه، فى صائفة جديدة، للثأر مما حدث،لبنى لب، وبنى ذى النون، فى حصن بقيرة، وهى الصائفة التى وصفها ابن حيان بأنها خرجت قبل الموعد المحدد لخروج الصوائف، وقد عرفت فى المصادر الإسلامية، وعلى رأس تلك المصادر المقتبس، بغزوة بنبلونة (٨٧).

وقد خرج من قرطبة فى جيوشه الجرارة،يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ٣١٢ هـ - السابع عشر من شهر ابريل سنة ٩٣٤ م، وذلك بعد ثلاثة وأربعين يوما من الدعوة التى أطلقها للتجمع والاستعداد لتلك الصائفة المهمة، وترك على القصر بقرطبة، لإدارة شؤون البلاد، ابنه الأكبر وولى عهده، الأمير الحكم الثانى (٨٨).

واتخذ الناصر فى هذه الصائفة طريق الشرق، قاصدا فى طريقه كورتى تدمير وبلنسية (٨٩)، وكانت المدينتان من المدن التى خرج بها بعض زعماءها، وثاروا على الحكومة المركزية بقرطبة، وكان أول من بدأ باستئزالهم فى طريقه، من أهل الخلاف والمعصية أحد الثوار الذى امتنع بمدينة لورقة، وهو عبدالرحمن بن وضاح (٩٠)، وتمكن عبدالرحمن من استئزاله بالأمان، وكى يضمن عدم خروجه مرة أخرى بعثه مع أهله إلى قرطبة، ثم تقدم إلى مدينة مرسية (٩١)، واستئزل بها زعيم العصاة والخارجين يعقوب بن أبى خالد التوزرى (٩٢)، وتمكن أيضا من إخضاعهم واستئزالهم من أماكنهم التى كانوا فيها، وتمكن من تفريقهم ووأد الفتنة، واصطحب معه فى غزوته إلى بنبلونة زعيمهم يعقوب بن أبى خالد، أما الثائر محمد بن عبدالرحمن بن الشيخ (٩٣)، فقد امتنع عن النزول إليه، والغزو معه، وكان يمتنع بمدينة العسكر، وهى من أحواز مدينة بلنسية، فنازل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناصر حصونه، وجهز له جيشا كثيفا، آمر عليه واحدا من كبار قواده، وبذلك تمكن من إصـــلاح حال المدن الثائرة، فى طريقه إلى نصارى الشمال (٩٤).

ثم تقدم الناصر إلى الثغر الأعلى، مدينة سرقسطة، فى عدد كبير من العساكر، وصفهم ابـــن حيان من حيث الكثرة، بأنهم كالحصى، وقد انضم إليه التجيبيون أصحاب سرقسطة وحلفاءهم، ثم انطلق إلى مدينة تطيلة، وهناك هرع إليه زعماء الثغر بقواتهم، وكانت جموعهم كبيرة، ودخل بتلك الجموع إلى أراضى مملكة نافار، وكان ذلك يوم السبت الرابع من ربيع الآخر، الموافق شهر يوليو، عازما على الانتقام من هجوم أردونيو وسانشو على بقيرة، والقيام بأســـر زعماءهـــا إلى بنبلونـــة وقتلهم جميعا، فبدأ باحتلال أول الحصون فى بلادهم، وهو حصن قلهرة ، وكان شانجة عندما علـــم بوصول عبدالرحمن فى حشوده، قد فر من معظم قلاعه وحصونه، وتركها لمصيرها، فأمر عبدالرحمن بهدم الحصن وإحراق جميع ما فيه، ثم انتقل إلى موضع يعرف بقنطرة ألبة (٩٥)، وكانت حول هذا الموضع أيضا مجموعة من الحصون المنيعة، التى تم اخلاءها هى الأخرى أمام زحف الناصر، وقد لجأ النصارى بأهليهم وزراريهم، إلى ثلاثة غيران ـــــ جمع غار ـــــ على شفير جرف من النهر، فمـــا زال المسلمون بهم، يتسورون عليهم، حتى تم فتح تلك الغيران، فقتل الرجال، وتم سبى الـــزرارى والأمتعة، وكانت تلك أول الغنائم التى أفاءها الناصر لعساكره، وبذلك تم هدم الحصون التى بتلك الناحية (٩٦).

وصال الناصر وجال فى مجموعة كبيرة جدا من الحصون التابعة للنصارى فى هذا الموضـــع، مضرما النار فى بعضها وهادما للبعض الآخر، ومن أهم تلك الحصون فى هذه المنطقة حصن طفاليـــة (٩٧)، وترجع أهميته كما يذكر ابن حيان، أنه كان من حصونهم الشريفة، أى له مكانـــة دينيـــة مقدسة لديهم، وكان بالحصن الكثير من الأطعمة والنعم، حازها المسلمون (٩٨).

ثم عزم الناصر على التوغل فى أراضى النصارى " إلى موضع قرارهم ومجتمـــع كفـــارهم ونكايتهم فى عقر دارهم ومكان أمنهم "، وذلك بعد أن أمن خطوطه الخلفية بتلك الحملة الكبيرة على أهم حصونهم، ووصلت جيوش الناصر بالفعل إلى مواضع لم تدخلها من قبل، ونزل عبدالرحمن بعسكره فى قرية، بشكونسة، وترجع أهمية هذه القرية، أنها كانت مسقط رأس سانشو، فهـــدمت مبانيها، وأحرق كل شيء فيها (٩٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهنا أفاق سانشو إلى خطورة الوضع، بدخول عبدالرحمن بجيوشه إلى عقر داره، فاجتهد فى جمع جيشا كبيرا، طامعا فى قتال المسلمين، فأرسل الناصر جمعا من الخيول فى كثير من العسكر، وذلك ليلة الأربعاء منتصف ربيع الآخر، وسلكت جيوش الناصر بين جبال شاهقة وشامخة، وحاول سانشو انتهاز فرصة مرور المسلمين فى تلك الطرق الوعرة، واعتراض بعض كتائبهم أو ساقتهم ـــ الساقة فى الجيش مؤخرته ـــ ولكن الناصر كان يعلم بتفكير سانشو، حيث خبر حربه من قبل، فقام بأخذ الحيطة والحذر، وكان قد أرسل من قبل جزء من الجيش لإعتلاء قمم تلم الجبال لتأمين مرور الجيش، فلما توسط جيش الناصر فى تلك المواضع الضيقة، وحاول النصارى اعتراض هذا الجيش، هنا هبطت الخيل من تلك الجبال، وجالت بسرعة إلى المسلمين، وجرت بينهم مناوشة سريعة، وأمر الناصر فى هذا الموضع " بإنزال الأثقال، ورفع المظل، والتعبئة للحرب، فنهض المسلمون على أعدائهم نهوض الأسد المحربة،،، فهزموهم ووضعوا السيوف والرماح فيهم، واضطروهم إلى اللجوء إلى أماكن وعرة فى الجبال المحيطة بهم، ولكن المسلمون تسنموا تلك الجبال فى آثارهم، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وبسطوا الأرض بجثثهم، ثم أغارت خيل المسلمين على بسائطهم، وحازت غنائم ونعم كثيرة، وانصرف المسلمون من هذا اللقاء سالمين غانمين، لم يصب منهم غير يعقوب بن أبى خالد التوزرى، الذى استنزله عبدالرحمن من قبل من بلنسية، واصطحبه معه (١٠٠).

ثم توجه عبدالرحمن إلى هدفه الأكبر مدينة بنبلونة نفسها، والتى سميت الصائفة باسمها، وكان فى أثناء طريقه إليها، لا يمر بجيوشه فى أى طريق أو مكان، دون أن يتركه أثرا بعد عين، وعندما وصل إلى المدينة وجدها خالية تماما من سكانها، الذين فروا رعبا، فدخلها الناصر لدين الله بنفسه، وتجول فى ساحاتها، وأمر بهدم جميع مبانيها، وتخريب كنيستها العظمى، وكان لها مكانة مقدسة لدى النصارى، فهى التى تعقد فيها البيعة، وتقام بها الشعائر الخاصة بهم، ثم انتقل الناصر إلى صخرة تسمى صخرة قيس، وترجع أهميتها أيضا، إلى وجود كنيسة للنصارى، كان قد شيدها سانشو، وطاول وأتقن فى التأنق والتحصين لها، فلما وصلت الجيوش إليها، عملت على هدمها، ويضيف ابن حيان، بأن سانشو كان ينظر ويتطلع من أحد الجبال التى تحصن بها، إلى تلك الكنيسة وهى تهدم، وحاول لما لها من مكانة لديه من حمايتها، وهو يحاول ذلك، أرسلت إليه مجموعة من المقاتلين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين فى عجالة سريعة، فولى الدبر، وهزم هزيمة أقبح من هزيمته الأولى، وقتل من فرسانه ووجوه أصحابه عدد كثير، ممن كانوا مدافعين وحامين له (١٠١).

وقد أوشكت الصائفة على النهاية، بعد أن حققت الكثير من أهدافها، وذلك عندما علم عبدالرحمن بالمكان الذى يتواجد فيه سانشو، وكان ذلك هو المكان المفضل إليه، والذى يذهب إليه ينشد الراحة، وهو مكان بالقرب من حصن شنت اشتيبن، فتوجه إليه يوم الأربعاء الثانى والعشرون من شهر ربيع الآخر من نفس عام الصائفة، فعاد سانشو إلى سابق خططة بالتظاهر فى أعالى الجبال، بعد أن جمع جموعه وحشد حشوده، وطلب النجدة بمدد أتاه من ألبة والقلاع، وطمع مرة أخرى، حيث غرته هذه الحشود، فى النيل من المسلمين، لتعويض خسائره المتتابعة، أو كما يقول ابن حيان " يقيم بها عذره عند أهل ملته "، ونشبت الحرب بين الطرفين، وهزم سانشو وجموعه، والتجأوا كالعادة فرارا إلى أعلى جبلهم، وتفرق الكثير منهم على غير هدى، وبات المسلمون فى محلهم، وحازوا أماكنهم، وأنعامهم، وتتبع الناصر، سانشو قاصدا القضاء عليه بصفة نهائية، الذى لملم نفسه مرة ثالثة، فخرج إليه فرسان المسلمين كالعادة، فانهزم هزيمة أقبح من الهزيمة السابقة، وقتل رجاله، وعقرت خيله، ثم عمل الناصر على تطهير المنطقة بهدم أهم الحصون التى بها، وعلى رأسها حصن قلهرة، حيث هدمه وسواه بالأرض، ثم انتقل إلى حصن بلتيرة (١٠٢). وترجع أهمية هذا الحصن فى أنه أخر حصون المسلمين المتوغل داخل بلاد النصارى، فأغدق على أهل الحصن بالأطعمة الوفيرة، التى أمرهم بادخارها للأوقات الصعبة، ووزع عليهم الأموال الوفيرة، تقوية لهم (١٠٣)، وكان ذلك يوم الاثنين السابع والعشرون من ربيع الآخر، وكان الهدف الرئيسى فيما فعله الناصر، من كثرة العطايا والإغداقات، تثبيت ساكنيه من المسلمين، على هذا الحصن الاستراتيجى، المهم للدفاع عن الأراضى الإسلامية فى الشمال، من عدو متربص، لا يمل شن هجماته عليه، كلما سنحت له الفرصة.

بعد كل تلك الإنجازات الكبيرة فى صائفة بنبلونة، عاد عبدالرحمن إلى عاصمة ملكه، مدينة قرطبة، وكان قد غاب عنها لمدة، أربعة أشهر كاملة، قضاها فى توطيد أركان ملكه، وأذعن له الجميع سواء بالتفاوض وبخاصة مع حكام المسلمين المتاخمين لأراضى النصارى الإسبان، أو بالحرب كما حدث مع أشرس أعداءه فى هذه المنطقة، وكان دخوله إلى قرطبة يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ٣١٢ هـ (١٠٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد تلك الصائفة توقفت الصوائف، فترة ليست قصيرة بين الطرفين، وذلك لعدة أسباب كان أهمها، وفاة بعض الأطراف الرئيسية فى ذلك الصراع وبخاصة من الجانب النصرانى، حيث توفى أردونيو ملك ليون سنة ٩٢٥م، وشغلت مملكته بحرب أهلية طويلة حول وراثة العرش (١٠٥).

وكانت هذه الحرب فرصة كبيرة لعبدالرحمن الناصر لالتقاط الأنفاس من ناحية، ولترتيب البيت الأموى من الخارجين عليه من ناحية أخرى، حيث فرح كثيرا لتمزيق النصارى بعضهم البعض، علاوة على استغلال إمكانيات الدولة كلها للقضاء على الكثير من الثورات داخل الدولة الأموية، والتى استغلت انشغال عبدالرحمن بالصوائف ضد النصارى للخروج عليه، ولكن تلك الصوائف عادت من جديد، مع استقرار مملكة ليون ، باعتلاء راميرو الثانى عرش المملكة سنة ٣١٩ هـ - ٩٣٢م (١٠٦).

ومن أسباب توقف الصوائف ايضا كما يورد ابن حيان، مهلك ملك البشكنس، سانشو، أو شانجة، سنة ٣١٤ هـ - ، وذلك فى أعقاب عودته من أحدى غزواته، مع بنى جلدته من النصارى، وذلك بأن سقط من أعلى فرسه، فدق عنقه، ومات (١٠٧).

وكان أول تدخل لراميرو الثانى فى الشؤون الإسلامية، محاولته إغاثة أهل مدينة طليطلة الخارجين على طاعة الناصر، وبخاصة فى صائفة الناصر الثانية على مدينة طليطلة، فى صيف ٣٢٠هـ - ٩٣٢ م، وكان أهل طليطلة قد استنجدوا به، بعد أن ضرب الناصر الحصار عليهم (١٠٨)، ولكن راميرو لم ينس، أن الناصر أفسد خطته بمساندة أهل مدينة طليطلة الثائرين، مما مكن الناصر من إخضاعهم، والدخول فى طاعته، بعد أن ضيق عليهم الحصار، فاستسلموا له، ولذلك سار فى العام التالى مباشرة، إلى مدينة أوسمة، و كانت مثار صراع بين المسلمين والنصارى، فتمكن راميرو من احتلالها، وهنا اعتزم الناصر، الخروج له بنفسه فى العام التالى مباشرة، فى صائفة خرجت من مدينة قرطبة منتصف جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ - مايو ٩٣٤ م، مرت فى الحشد لها تقريبا بكل، ما مرت به الصوائف السالفة، من الإعداد الجيد، وكثافة الأعداد (١٠٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أبرز أحداث تلك الصائفة، اصطحاب الناصر، لولده وولى عهده الحكم ، وشـــهدت أيضا وصول الملكة طوطة (١١٠)، وكانت وصية على ولدها غرسية، وريث عرش نافـــار، وقـــد تعهدت له بالطاعة (١١١)

أما الهدف الرئيسى من هذه الصائفة، فكانت تأديب، راميرو الثانى، الـــذى تحـــالف مـــع الخارجين على الناصر، وتجرأ على أراضى المسلمين، ولذلك سار الناصر إلى أراضى ألبة والقـــلاع، وكالعادة اعتصم النصارى بالجبال، أمام جيوش الناصر الجرارة، واستولى فى البداية علـــى أعظـــم حصون ألبة، وهو حصن المنار، وجعله أثرا بعد عين، وتبع تدمير الحصون، ومنها حصن أنة، والذى يضم حدائق ومزارع، وأبنية كثيرة، من أهمها كنيسة ضخمة، متقنة البنيان، فجعلوه على حد تعبير ابن حيان " لم يدعوا به معلما يهدى إليه، ولا آية تدل عليه، وقد كان فيمن يعمره، فيما ذكـــره من يعرفه، ثلاث مائة راهب "، ولعظم مكانة الكنيسة عند النصارى، كانت فاجعتهم فيها كـــبيرة (١١٢).

ومضى الناصر بعساكره، فى كافة بلاد ألبة والقلاع، يسعى إلى هدفه الأسمى فى لقاء الملـــك راميرو، والاشتباك معه فى معركة فاصلة، تضع حدا لتجاوزاته المستمرة فى الأراضـــى الإســـلامية، ولكن دون جدوى، فقد تحصن راميرو بحصونه وقلاعه، ولم يغادرها، يلاحظ المسلمين بعينيه، وينظر إلى ما يفعلونه بأرضه، ونفسه تتقطع حسرات على ما يحدث، ثم قرر راميرو مواجهـــة المـــسلمين، واستعد الطرفان للقاء الحاسم، واشتبكوا فى معركة حامية، دارت الدائرة فيها علـــى النـــصارى، وانهزموا، قتل وجرح فيها عددا كبيرا من أكابر فرسانهم من النصارى، وأيضا استشهد فيها عـــددا من المسلمين، وقد وضع عبدالرحمن خطة، حاول فيها استدراج النصارى إلى السهول، كى يـــسهل التمكن منهم، لأنهم لجأوا إلى الجبال للاحتماء بها، ولكنهم فطنوا إلى خطـــة المـــسلمين، ثم رحـــل المسلمون إلى حصن غرماج Gormaz، الذى قام المسلمون بقتل صاحبه، وهنا رأى الناصر، أن التقدم فى تلك السهول الواسعة المكشوفة يعرضه ويعرض جيشه للخطـــر، فعـــاد بقواتـــه ناحيـــة الشرق، فى أراضى مملكة قشتالة، وزحف على عاصمتها مدينة برغش (١١٣)، فخربهـــا، ثم قفـــل عائدا إلى مدينة قرطبة بعد أن أمضى فى هذه الصائفة قرابة الأربعة أشـــهر (١١٤).وقـــد أصـــدر الناصر حول تلك الصائفة، كتابا أطلق عليه " كتاب الفتح "، عدد فيه المدن والقـــلاع الـــتى غزاها، وقد نظم الشعراء العديد من القصائد التى تشيد بهذا النصر الكبير (١١٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى العام التالى مباشرة سنة ٣٢٣ هـ، طلب راميرو الصلح مع الناصر، وأرسل رسله إلى الناصر يلتمسون الصلح، وذلك فى أعقاب الصائفة التى خرب فيها الناصر بلاده، وأخرج إليه الناصر وزيره يحيى بن يحيى بن إسحاق، سفيرا من قبله إلى بلاده، واجتمع مع راميرو فى مملكته ليون، لإقرار الشروط التى توافق عليها الطرفان، وكان هذا الصلح قد عقد يوم الثلاثاء، منتصف ربيع الآخر سنة ٣٢٣ هـ، مارس (٩٣٥م)، أما الناصر فقد وقع على هذه المعاهدة بمدينة قرطبة، كان من أيام قرطبة المشهودة ، وقد أراد الناصر من هذا الصلح إبعاد راميرو عن محالفة الخارجين عليه، ولكن هذا الصلح لم يستمر طويلا، ونكث راميرو سريعا بوعوده وعهوده، وعاد إلى محالفة الخارجين على الناصر، وكان نكثه بهذا الصلح فى أواخر سنة ٣٢٤ هـ (١١٦).

فى أعقاب هذا الصلح، والذى لم يلتزم به ملك ليون، الذى دخل فى تحالفات كثيرة، مع الخارجين على حكومة قرطبة من حكام الثغر الأعلى من المسلمين (١١٧)، لم يتمكن الناصر من إرسال جيش، لوضع حد لهذا الخروج، إلى أن سنحت الفرصة لمواصلة الصوائف من جديد.

ويذكر عيسى بن أحمد الرازى : أن الناصر خرج فى يوم السبت، منتصف شهر رجب سنة ٣٢٥ هـ - السابع والعشرين من مايو سنة ٩٣٧م، ومما جاء فى وصف تلك الصائفة، نقتصر من أحداثها الطويلة، حيث كان من أهم أهدافها أيضا، مواجهة الخارجين من حكام الثغر الأعلى من المسلمين، والذين تحالفوا مع نصارى الشمال، وكان النصارى عندما علموا بخروج الناصر فى جيوشه الكثيفة، سارعوا بالاحتشاد بأطراف الثغر الأعلى لمناصرة حلفاءهم المسلمين، علاوة على محاولتهم الزحف على مدينة طليطلة، لإثارة الثورة فيها ضد الناصر، وعندما علم الناصر سار بجيشة إلى طليطلة، فعلم النصارى بمقدمه فارتدوا خائفين إلى الشمال (١١٨).

وقد حققت هذه الصائفة جميع أهداف الناصر، بتمزيق هذا التحالف الكبير، الذى يعتبر أكبر تحالف واجهه منذ اعتلاؤه الحكم فى قرطبة، حيث تمكن من إخضاع الجميع نصارى ومسلمين خارجين عليه، ولكن تبقى أمامه العقبة الكبرى، خصمه العنيد راميرو الثانى، ملك ليون، فهو خصمه الحقيقى، رغم معاهدات السلم التى عقدت بينهما، ولذلك أخذ يستعد له لمدة عامين كاملين، ليخرج الناصر، فى أكبر وأهم صوائفه على الاطلاق إلى الشمال الأندلسى، فيما عرف تاريخيا، بصائفة الخندق، أو غزوة الخندق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحقيقة أثرت فى الصائفة السابقة، الاختصار فى تلك الروايات الخاصة بها، أولا خوفا من الإطالة فى تفاصيل خارج سياق البحث، المنصب أساسا على الصوائف، وثانيا خوفا من التكرار، حيث أن روايات ابن حيان فى هذا السياق، أقصد وصف الصوائف والاستعداد لها، تكاد تتشابه ألى حد كبير، علاوة على تشابك الأحداث، بين الأطراف الثلاثة فى تلك الصوائف، مابين الخارجين المسلمين وحكام النصارى والناصر.

* صائفة أوغزوة الخندقALfondiga ٣٢٧ هـ - ٩٣٩ م.

خرج الناصر فى صيف سنة ٣٢٧ هـ - ٩٣٩ م، إلى ليون مباشرة، فى أعظم وأكبر غزواته على الإطلاق،وعلى رأس جيش هو الأضخم منذ ولايته للأندلس حتى تاريخه، ولذلك تعد تلك الصائفة، هى أهم صوائفه على الإطلاق، حيث قدر عددها بحوالى مائة ألف، وقد تمت كل تلك الاستعدادات، كى يحطم خصمه العنيد راميرو الثانى.

والحقيقة أن تلك الصائفة أو الغزوة قد تناولتها العديد من المصادر والمراجع الإسلامية والغربية (١١٩) ، ولذلك لن نتناولها االامن خلال رواية ابن حيان، والذى أسهب بدوره فى سرد أحداثها، وكانت روايته لها، من أهم الروايات الإسلامية التى اقتربت كثيرا من حقيقة ما حدث فيها.

وفى البداية نشير، بأن الناصر قد تلقى هزيمة مروعة فى تلك الصائفة، كانت أثقل هزيمة لقيها على مدار تاريخة كله، وكالعادة صمتت معظم الروايات الإسلامية، أو اختصرت فى النقل ، ولم تنقل عنها سوى شذرات قليلة، لا تشفى غلة الباحث المدقق حول حقيقة ماحدث فيها، وذلك عكس الرواية الغربية التى أسهبت كثيرا فى نقل ما حدث، وخلاصة ما حدث يمكن أن نعتمد فيه على رواية ابن حيان موضوع البحث، علاوة على دقة فى النقل، بما يتطابق كثيرا مع ما ورد فى الرواية الغربية. وقد نقل ابن حيان عن تلك الصائفة معتمدا على العديد من الروايات بدوره، نكتفى منها بأول وأهم وأصح رواياته، وهى ما نقله عن عيسى بن أحمد الرازى. وملخص رواية ابن حيان :- أن الناصر خرج للغزو، إلى أهل مملكة ليون، وذلك يوم الجمعة ٢٢شعبان سنة ٣٢٧ هـ - الأول من يونيو سنة ٩٢٩ م، وبعد مقدمة طويلة فى وصف الاستعدادات ، كما ورد فى الصوائف سالفة الذكر (١٢٠)، وكان الناصر قد أخرج قبل خروجه، أحد أهم قواده الوزير أحمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن محمد بن أبي عبدة، في بعض القوات، ليكون تأمينا للجيش، وحماية لأهل الشرق من المسلمين، ريثما يتفرغ الناصر لمهمته الكبرى.

وتقدم الناصر لدين الله بعساكره، ودخل مدينة طليطلة، وأقام بها ستة أيام، ثم خرج قاصدا أرض العدو، فوجد أن النصارى قد تركوا معظم أراضي تلك الجهات، وكانت تمتلىء بالنعم والأقوات، أخذها المسلمون، وخربوا تلك الأراضي جميعها، " فسوى أعلاها بأسفلها، ووجدوا في مطاميرها عددا من أسرى المسلمين، فخلصوهم "، ثم تقدم الناصر إلى حصن أشكر، وكان خاليا، فتم تخريبه. وكان محمد بن هاشم التجيبي (١٢١)، صاحب سرقسطة (١٢٢)، قد تقدم بقطيع من الخيل، وعبر نهر شنت مانكش (سيمانقا) (١٢٣)، فهرب العدو بقواته وراء النهر، ونشبت بين الفريقين موقعة كبيرة، هزم فيها النصارى، ولكنهم استطاعوا لملمة صفوفهم مرة أخرى، وتكاثروا على المسلمين، وعطفوا على قائد المسلمين ومن معه، ودارت بينهم حرب صعبة أخرى، نزل فيها محمد بن هاشم قائد المسلمين عن فرسه، وعندما ترجل، انكشف لمن للعدو، وتكاثروا عليه، ولم تستطع خيل المسلمين أن تلحقه لإنقاذه، فتم أسره من قبل النصارى، فاشتد أسره على الناصر وعلى المسلمين (١٢٤)، مما كان له أثره السيء في الموقعة الفاصلة فيما بعد.

والحقيقة أن ابن حيان، هنا نراه يختصر اختصارا مخلا، لم نعهده منه من قبل في الكتابة عن صوائف الناصر، وفي وصف أحداث الموقعة الفاصلة التي من أجلها جيش الناصر كل تلك الجيوش، بما لا يتناسب مع، أهمية الموقعة، والأحداث والنتائج التي ترتبت عليها فيما بعد، وفيما ذكره عنها.

ثم دارت بين الفريقين معركة بأشد ما يكون وأصعبه، وهزم المسلمون على باب شنت مانكش هزيمة شديدة، رغم أن المسلمين صابروا صبرا عظيما، وانكشفوا انكشافا قبيحا، ونال العدو منهم نيلا عظيما، وألجأهم العدو إلى خندق عميق، وقتل منهم أعدادا كثيرة أثناء ارتدادهم إلى ذلك الخندق، وهو الذي نسبت إليه الموقعة، ولم يكن أمامهم سوى هذا الخندق للاحتماء به، ولكثرتهم أثناء الارتداد، داس بعضهم بعضا، ودخل بهم الناصر مضطرا إلى هذا المكان، وترك مكانه، فاستولى عليه العدو، وذهب الناصر بقواته إلى نقطة حصينة بأعلى النهر، فعجز النصارى عن استكمال تتبع الجيش الإسلامي، ولكن كان الخلل والفوضى، قد سادت صفوف الجيش الإسلامي، ففضل الناصر، عدم الكر على العدو، والعودة بباقي الجيش إلى مدينة قرطبة (١٢٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والغريب أن ابن حيان : لم يذكر لنا عدد شهداء المسلمين فى هذه الغزوة، فقط أورد بأنها أعدادا كبيرة، وإنما ذكرها لنا فى رواية متأخرة نوعا ما، المقرى، حيث قال، فكر عليهم النصارى بشدة وحماسة، فاضطربت صفوف المسلمين، وهزموا هزيمة ثقيلة، وقتل منهم ما يقارب الأربعين ألفا، بل وقيل فى رواية أخرى خمسين ألفا، وذلك فى شهر شوال سنة ٣٢٨ هـ - يولية ٩٣٩ م، وسميت الموقعة بموقعة الخندق، لوقوعها فى خنادق مدينة سمورة(١٢٦).

وقد أدت هذه الهزيمة إلى عزوف الناصر عن الجهاد بنفسه مرة أخرى بعد تلك الصائفة، فقد نجا من الموت أو الوقوع فى الأسر بمعجزة، وأنه خرج من المعركة مضرجا فى دمائه، وكانت جراحه بليغة، وولى وجهه شطر قرطبة، فى ثلة من فرسانه (١٢٧)، وكان أثمن ما فقد الناصر فى هذه الموقعة، درعه ومصحفه الخاص (١٢٨).

ولكل ما سبق، فقد تغيرت سياسة الناصر بعد تلك الصائفة، التى لقى فيها هزيمة ثقيلة، فقد فيها نصف جيشه، وكانت خاتمة أعمال الناصر الحربية فى الخروج بنفسه وكما يقول ابن حيان " اشتدت على الناصر لدين الله نكبته فى غزوته هذه، لم تكن لها أخت فيما سلف من مدته، فاتهم سعده، واعتكر فكره، حتى خاف على نفسه " " وأقصر من وقته ذلك عن الغزو بنفسه، فوكله إلى كفاته من حزمة قواده وشجعانهم، يجردهم بالصوائف كل عام لا يخل بها " (١٢٩). ويضيف ابن حيان موضحا لسياسة الناصر، وتأمينها دون أن يذهب بنفسه قائلا :- " ويقتصر فى تأمين تقليد شئون الثغر الأعلى الممانعة للدروب على أكابر ساكنيها ووارثها عن الأجداد والآباء صلابة البأس "، " المؤمرين قديما لابثغورهم، الذابين عن حريمهم، فقسم بلادهم بينهم حصصا، وجدد لهم ولأعقابهم بعدهم على أقسامهم منها كل عام سجلاتهم تضمينا وترفيها، ثم لا يغبنهم بالصلات إذا وفدوا وطلبوا، وبالهدايا إن بعدوا " (١٣٠).

وهكذا وجد الناصر الحل، بعد تلك الهزيمة الثقيلة، وهو عدم إرسال صوائفه الثقال بنفسه، على حد تعبير ابن حيان، بل يوكل الأمر إلى زعماء الثغور من المسلمين، مع استخدام سياسة الترهيب والترغيب، وتكون سياسة الترغيب أكثر من الأخرى، وتزويد هؤلاء الزعماء بالعدد والعتاد، والجنود والسلاح، وتقريبهم بالصلات والهدايا، وتجديد البيعة لهم ولأعقابهم، كى تطمئن نفوسهم، ويبذلوا مزيدا من الجهد فى الدفاع عن الثغور الإسلامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم تنته غارات راميرو الثانى ملك ليون على الأراضى الإسلامية، وبخاصة بعد النصر الكبير الذى حققه فى أخر صوائف الناصر، وكان الناصر قد عقد معه سلما، ريثما يلملم صفوفه، ويوطد علاقته بحكام المسلمين فى الشمال الإسبانى، ولكن راميرو لم يحترم عهوده ومواثيقه، وعاد يعوث فسادا فى أراضى المسلمين، فى السنوات اللاحقة، لتلك الصائفة، حتى توفى فى أواخر سنة ٣٣٩ هـ ، يناير سنة ٩٥٠ هـ. لتبدأ مرحلة جديدة من نزاع الناصر مع ممالك الشمال الإسبانى النصارى، وهى الفترة التى يقف عندها ابن حيان فى الكتابة عن الناصر، حيث تشتمل القطعة الخاصة بعبد الرحمن الناصر إلى سنة ٣٣١هـ - ٩٤٣ م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوامش والحواشى:-

(١) ابن حيان (٣٧٧- ٤٠٠هـ) (٩٨٧- ١٠١٠م) هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان، مولى الأمير عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان،الشهير بابن حيان. وقد نقل لنا العديد من المؤرخين قديما وحديثا العديد من مأثره وكتاباته، ودوره المميز كأحد أهم مؤرخى الأندلس على الإطلاق، ونستشهد فى هذا المجال بأول وأهم من ترجم لابن حيان، وهو المؤرخ الأندلسى ابن بشكوال فى كتابه الصلة، حيث يقول '' كان أبو مروان بن حيان فصيحا فى كلامه، بليغا فيما يكتبه بيده، وكان لا يعتمد كذبا فيما يحكيه فى تاريخه من القصص والأخبار ''. وتوضح تلك العبارات البليغة لابن بشكوال، منهج ابن حيان فى الكتابة التاريخية، ولذا أصبح من أهم مؤرخى الأندلس.للمزيد حول ابن حيان، وكتاباته التاريخية راجع :- ابن بشكوال : (أبو القاسم خل الأنصارى الخزرجى)، ٤٩٤ - ٥٧٨ هـ - ١١٠١ م - ١١٨٣م، الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، القاهرة سنة ١٩٥٥م، ص ١٣٨.، ١٣٩. ترجمة رقم ٣٤٥. ابن خلكان : (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان) ٦٠٨ - ٦٨١ هـ - ١٢١١ - ١٢٨٢ م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : دار الثقافة، ج٢، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص ٢١٨. وراجع كذلك مقدمة الجزء الثانى من المقتبس : ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الأندلس، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى، حققه وقدم له، وعلق عليه الدكتور / محمود على مكى، القاهرة ١٣٤١ هـ - ٢٠١٠ م، من ص ٧ إلى ص ١٤٢. وهى من أهم وأعمق الدراسات التى كتبت حول، ابن حيان.

(٢) عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) - (٩١٢ - ٩٦١م)، هوأمير المؤمنين أبو المُطرّف عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله، وحمل لقب عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثامن حكام الدولة الأموية فى الأندلس، وأول خلفاءها، حيث أعلن نفسه خليفة على الأندلس سنة ٣١٦ هـ - ٩٢٨م. للمزيد حول عبدالرحمن الناصر وأعماله راجع الجزء الخامس من المقتبس، وهو الجزء الذى استقينا منه، هذا البحث. ابن حيان : (أبو مروان حيان بن خلف القرطبى) (٣٧٧- ٤٠٠هـ) (٩٨٧- ١٠١٠م)، المقتبس، الجزء الخامس، نشره : ب. شالميتا، ف، كورينطى،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

م، صبح، المعهد الإسبانى العربى للثقافة،كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م. وقد اهتمت المصادر الغربية كثيرا بالناصر وأعماله، ومنها :-

Leve Provencal & E.Garcia Gomez : Una Cronica Anonima de Abd Al Rahman 111 Al - Nasir. P 38 - 39.

Leve Provencal : La Politica Africana de Abd Al Rahman 111. Vol. X1. 1946.P 2.

(٣) للمزيد حول هذا الموضوع راجع قاموس المعانى لكل رسم على موقع :-

http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D9%81%D8%A9+.+%D8%AC%D9%85%D8%B9+%3A+%D8%B5%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%81+./?category=%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%AF،

وراجع أيضا :- ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الخاصة بالأمير/ عبدالرحمن الأوسط، ص ١٠٧، هامش (١٠٧).

(٤) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١١٠.

(٥)أحمد بن محمد بن أبي عبدة : قائد عسكري ينتمي إلى أسرة بني أبي عبدة الذين كانوا في الأصل من موالىبنى أمية، وكانوا محل ثقتهم، فشغلوا العديد من المناصب المرموقة، فى عهد الدولة الأموية فى الأندلس، وقد استخدمه الأمير عبدالله بن محمد لقمع تمرد خير بن شاكر، فى كورة جيان سنة ٢٧٦ هـ، كما أرسله لقتال عمر بن حفصون فى أعوام، ٢٨١ هـ، ٢٨٥هـ، ٢٩٧هـ، كما كان محل ثقة الأمير عبدالرحمن بن محمد (عبدالرحمن الناصر)، فولاه قيادة الجيش، واستعمله عدة مرات فى قمع المتمردين. وكان من كبار القادة. وقد قتل خلال إحدى الحملات التى قادها للناصر، فى ١٤ ربيع الأول ٣٠٥ هـ / ٤ سبتمبر ٩١٧م، وقتل أمام ملك جليقية، والعدو العنيد للناصر، أردونيو الثانى. للمزيد راجع :- محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس. الجزء الأول، مكتبة الخانجى، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٦) أردون الثانى أو**أردونيو الثاني** (٨٧٣–٩٢٤م)، هو ملك جليقية منذ عام ٩١٠م، وملك جليقية وليون منذ عام ٩١٤ م، حتى وفاته، وقد استطاع أن يضم مملكة ليون إلى مملكته جليقية، اشتبك فى معارك كثيرة مع حكام المسلمين بالأندلس، وبخاصة مع عبدالرحمن الناصر، شهد عهده الانتقال الهادىء لمملكة اشتورياش لتصبح مملكة ليون، وجعلها قاعدة لمملكته، تزوج من إلبيرة مينيديث ابنة كونت كودميرا، وأنجب منها، الفونسوالرابع، ورامیروالثانى، ملوك ليون فيما بعد، وقد دخلا والداه فى صراع مع عمهم الذى خلفه فى الحكم وهو فرويلا الثانى. للمزيد راجع :-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A_%D9%85%D9%84%D9%83_%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86

(٧) ابن حيان :المقتبس، ج٥، ص ٩٣.

(٨) مدينة يابرة :أو Evora ، هى مدينة من كور باجة بالأندلس، وهي قديمة، وتنتهي أحواز باجة فيما حواليها مائة ميل للمزيد راجع : الحميرى : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى) ت ٩٠٠ هـ ١٤٩٥م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق :إحسان عباس. نشر :مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م، ص ٦١٥. وهى الآن من مدن جنوب البرتغال. للمزيد راجع :-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%A9

(٩) مدينة بطليوس : Badajos، من مدن ‘‘ إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى، بإذن الأمير عبد الله له في ذلك، فأنفذ له جملة من البناة وقطعة من المال فشرع في بناء الجامع باللبن والطابية، وبنى صومعته خاصة بالحجر واتخذ مقصورة، وبنى مسجداً خاصاً بداخل الحصن، وابتنى الحمام الذي على باب المدينة. وأقام البناة عنده حتى ابتنوا له عدة مساجد، وكان سور بطليوس مبنياً بالتراب، وهو اليوم مبني بالكلس والجندل وبني، في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. وهي مدينة جليلة في بسيط من الأرض، ولها ربض كبير أكبر من المدينة في شرقها خلا بالفتن وهي على ضفة نهرها الكبير المسمى الغؤور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض حتى لا توجد منه قطرة فسمي الغؤور لذلك، وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ويصب قريباً من جزيرة شلطيش، ومن بطليوس إلى اشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل. الحميرى : نفس المصدر، ص ٩٣.

(١٠) مروان بن عبدالملك بن أحمد : كان يتولى الحكم على مدينة يابرة، إبان حكم الناصر، وقد تعرضت مدينته للحصار على يد أردونيو الثانى فى ١٣من المحرم سنة ٣٠١هـ، أغسطس ٩١٣م، بجيش يقدر بثلاثين ألفا، وبذل جهودا كبيرة للدفاع عن المدينة، ولكنه قتل وهو يدافع عنها، وتم سبى جميع نسائه وولده وأهله.للمزيد حول تخريب يابرة، راجع :- ابن حيان : المقتبس، ج٥، ٩٣، ٩٤، ٩٥.

(١١) القوامس والأباترة : يذكر المحقق أن الأباترة ربما تكون، بطارقة، وهم الشرفاء. ابن حيان : ج٥، ص ٩٤. هامش، (٤).

(١٢) يذكر المحقق أن الناسخ قد أسقط هذا الجزء النص، وأنه تم إعادته، اعتمادا على، تاريخ الناصر. ابن حيان : نفس المصدر، والجزء، والصفحة، هامش، (٥).

(١٣) ابن حيان : نفس المصدر، والجزء، والصفحة.

(١٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٩٤، ٩٥.

(١٥) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٩٥.

(١٦) ابن حيان : نفس المصدر، والجزء، والصفحة. ويضيف المحقق حول كلمة أفراتس، التى أطلقت على مكان استشهاد المسلمين، أنه جاء فى تاريخ الناصر بأسم (الأتراش)، ولكنه يرجح ماجاء فى كتاب ابن حيان، بأنها افراتس، وهى Fretos أو apretos ، الرومانسية، وتعنى المضايق، أى المكان الضيق. ابن حيان : نفس المصدر، والجزء، والصفحة. هامش (١)، (٢).

(١٧) جليقية :مملكة جليقية أو مملكة غاليسيا (Reino de Galicia, or Galiza:) كان كيان يقع في جنوب غرب أوروبا، حيث احتلت الشمال الغربي من شبه جزيرة إيبيريا أسسها الملك السويبيون هيرميريك باتفاق مع إمبراطور روماني هونوريوس الذي اعترف بمملكة السويبيون في غاليسيا عام 409 وقد تم في العاصمة الجليقية الأولى براغا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حالياً شمال البرتغال (كونها أول مملكة اعتمدت الكاثوليكية وأيضا سكت من الحديد العملة عام 449،وأيضا خضعت لسلطان مملكة القوط الغربية-711) (585،وأصبحت جليقية جزء من ممالك المسيحية التي سقطت من المسلمين في الشمال، بعد فتح الأندلس، و سقوط مملكة القوط فيها.**للمزيد راجع موقع** :-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A9_%D8%AC%D9%84%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A9

Gregorio del Ser Quijano, *Documentaci n de la Catedral de Le n (s. IX-X)*. Ediciones Universidad de Salamanca, Salamanca. pp. 273–279.

(١٨) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٩٦.

(١٩) عبدالله بن محمد بن مروان الجليقى EL Gallego: هو حفيد عبدالرحمن بن مروان الجليقى، مؤسس مدينة بطليوس، وهو ينتمى لأسرة مسيحية اعتنقت الإسلام، واشتهر حكام هذه الأسرة بدأ من المؤسس بالخروج على سلطة الحكومة المركزية فى مدينة قرطبة، وقد تولى عبدالله الحكم بعد مروان بن عبدالرحمن والذى لم تدم ولايته سوى شهرين، وقد خلعه الناصر عن الولاية، وأرسله هو وأهله إلى قرطبة، حتى تمكن الناصر من القضاء على ملكهم ودولتهم سنة ٣١٧ هـ - ٩٣٠ م. للمزيد راجع :- ابن عذارى : (أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشى) عاش حتى ٧١٢ هـ - ١٣١٢م، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، نشر / ر. دوزى، ليدن ١٨٤٩م، ج٢، ص ١٤٠. ابن خلدون : (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون) ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م، تاريخ ابن خلدون أو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بولاق، ج٤، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢٠) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٩٦.

(٢١) مكناسة الأصنام :**نسبة إلى قبيلة مكناسة** وهي قبيلة أمازيغية مستوطنة فيالمغرب تازة وغرب الجزائر، راجع:-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%83%D9%86%D8%A7%D8%B3%D8%A9

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢٢) مدينة بنبلونة :'' مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً بها كانت مملكة غرسية بن شانجة، سنة ثلاثين وثلثمائة، وهي بين جبال شامخة، وشعاب غامضة قليلة الخيرات، أهلها فقراء وأكثرهم متكلمون بالبشقية، لا يفهمون، وخيلهم أصلب الدواب حافراً لخشونة بلادهم، ويسكنون على البحر المحيط في الجوف ''. الحميرى : الروض المعطار، ص ١٠٤.

(٢٣) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٢٠.

(٢٤) مدينة سمورة :''هي دار مملكة الجلالقة، على ضفة نهر كبير جداً خرار كثير الماء شديد الجرية عميق القعر، وبين سمورة والبحر ستون ميلاً، وسمورة مدينة جليلة قاعدة من قواعد الروم، وعليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمته الملوك السابقة، وبين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة. وقد كان عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) الخليفة الأموي بالأندلس غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة في أزيد من مائة ألف من الناس، فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي سمورة هذه.وكان أشد ما على الأندلس من الأمم المحاربة لهم الجلالقة، على أن الإفرنجة حرب لهم، غير أن الجلالقة أشد بأساً، وكان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الأندلس وزير من ولد أبيه، يقال له أحمد بن إسحاق، قبض عليه عبد الرحمن لموجدة، وجدها عليه، فقتله عبد الرحمن، وكان لذلك الوزير أخ يقال له أمية في مدينة شنترين من ثغور الأندلس، فلما نمي إليه ما فعل بأخيه عصى عبد الرحمن. وصار في حيز رذمير ملك الجلالقة، فأعانه على المسلمين ودله على عوراتهم، ثم خرج أمية في بعض الأيام عن المدينة يتصيد في بعض متنزهاته، فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول إليها، وكاتب عبد الرحمن، فمضى أمية بن إسحاق أخو الوزير المقتول إلى رذمير فاصطفاه واستوزره وصيره في جملته. وغزا عبد الرحمن صاحب الأندلس مدينة سمورة دار مملكة الجلالقة، وكان في أزيد من مائة ألف فكانت الوقيعة بينه وبين رذمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة، كما قدمناه، فكانت للمسلمين عليهم، ثم ثابوا بعد أن حصروا وألجئوا إلى المدينة، فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفاً، وقيل إن الذي منع رذمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن إسحاق، خوفه الكمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورغبه في ما كان في عسكر المسلمين من الأموال والعدد والخزائن، ولولا ذلك لأتى على جميع المسلمين، ثم إن أمية هذا استأمن عبد الرحمن بعد ذلك، وتخلص من رذمير، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول، وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس بعد هذه الوقيعة جند عساكر مع عدة من قواده إلى دار الجلالقة، فكانت لهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين فى الوقيعة الأولى، وكانت للمسلمين عليهم. ومدينة سمورة محدثة، اتخذت دارا سنة ثمان وثمانين ومائتين. تلك كانت رواية الحميرى فى الروض حول وقعة سمورة، وهى لا تختلف كثيرا عما أورده ابن حيان، للمزيد راجع :- الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٢٥) مدينة ماردة :''مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلاً، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة إليها، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً، ويقال أن ذا القرنين كان منهم وكان يقال لهذه الأمة الشبونقات، ثم دخلت أمة القوط فغلبوا على الأندلس واقتطعوها من صاحب رومة، واتخذوا طليطلة دار ملكهم وأقروا فيها سرير ملكهم، إلى أن دخل عليهم الإسلام، وكان آخرهم لذريق، وكان قد أحدق بماردة سوراً عرضه اثنا عشر شبراً وارتفاعه ثمان عشرة ذراعاً، وكان على بابها مما يلي الغرب حنايات يكون طولها خمسين ذراعاً، متقنة البنيان، عددها ثلثمائة وستون حنية، وفي وسط قنطرتها برج محني يسلك تحته من سلك في القنطرة. وتفسير ماردة باللطينية: " مسكن الأشراف " وقيل بل كانت دار مملكة ماردة بنت هرسوس الملك، وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة، وتعرب عن نخوة وعز، وتفصح عن عظة وعبرة، ولها في قصبتها قصور خربة، وفيها دار يقال لها دار الطبيخ، وهي في ظهر القصر، وكان الماء يأتي في دار الطبيخ في ساقية هي الآن باقية الأثر، فتوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدي الملكة، فترفع على الموائد، ثم إذا فرغ من أكل ما فيها وضعت في الساقية، فتستدير إلى أن تصل إلى يد الطباخ بدار الطبيخ، فيرفعها بعد غسلها، ثم يمر. للمزيد راجع :- الحميرى : الروض المعطار، ص ٥١٨.

(٢٦) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٢٠، ١٢٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢٧) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢٨) هو مسعود بن تاجيت بن محمد بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد، صاحب ماردة، هو وأبوه وجده، وكانوا أصحاب قورية ولجدانية، ففروا، إذ غلب النصارى على تلك الجهة. راجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، مصدر الكتاب، موقع الوراق الإلكترونى، على الرابط :-

http://islamport.com/w/nsb/Web/480/201.htm

(٢٩) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٢٢.

(٣٠) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣١) ابن خلدون : كتاب العبر، ج٤، ص ١٤١.

(٣٢) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٢٣.

(٣٣) شاعب : مفرق ومباعد. للمزيد حول نفس المعنى راجع : قاموس المعانى : لكل رسم معنى على موقع

http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%A8

(٣٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٢٤.

(٣٥) معنى ، عبارة دار الحرب التى أوردها ابن حيان، من الوجهة الفقهية، دار الحرب هي:- الدار التى تجري فيها أحكام الكفر، أو تعلوها أحكام الكفر، ولا يكون فيها، السلطان والمنعة بيد المسلمين : للمزيد راجع الفتوى رقم ٧٥١٧، فى تصنيف أحكام الديار، على موقع

http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=7517

(٣٦) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٢٧.

(٣٧) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج٢، ص ١٧٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣٨) مدينة تدمير :''من كور الأندلس سميت باسم ملكها تدمير، ونسخة كتاب الصلح الذي صالحه عليه عبد العزيز بن موسى بن نصير: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد العزيز بن موسى ابن نصير لتدمير بن غندرس، أنه نزل على الصلح وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع من ملكه، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم، ولا تشع عن ملكه ما تعبد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه، وأنه صالح على سبع مدائن أوريولة وبلنتله ولقنت ونوله وبلانة ولورقة وأله، وأنه لا يؤوي لنا آبقاً ولا يخيف لنا آمناً ولا يكتم خبر عدو، وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل نسمة وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط طلا وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك، وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة.الحميرى : الروض المعطار، ص ١٣١، ١٣٢.

(٣٩) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٢٨.

(٤٠) طلبيرة : '' بالأندلس أيضا، بينها وبين وادى الرمل خمسة وثلاثون ميلا، وطلبيرة أقصى ثغور المسلمين، وباب من الأبواب التى يدخل منها إلى أرض المشركين، وهى قديمة أزلية، على نهر تاجه، وهى فى الجزء الثالث من قسمة قسطنطين، وهى كبنية على جبل عظيم، يخرج من تحته عين خرارة، يطحن على جريها عشرون رحى. وهى مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصنا، ومدينتها أشرف البلاد حسنا، وهو بلد واسع الساحة كثير المنافع، به أسواق وديار حسنة، ولها على نهر تاجه أرحاء كثيرة، ولها عمل واسع ومزارعها زاكية، وبينها وبين طليطلة سبعون ميلا. الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٩٥.

(٤١)R. Dozy : Histoire des Musulmanas d Espagne Jusqu a La Coquete des

ALmoravides (Ed. Leve Provencal 1932). Vol. II.P 117.

(٤٢) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٤٣) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٣٦. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٤٤) Dozy : Op. Cit.Vol.II.P 117.

(٤٥) مدينتى ناجرة وتطيلة : مدينة ناجرة(N jera) ، هي بلدة صغيرة في منطقة لاريوخا فى أسبانيا، على نهر ناخريا، وهي إحدى النقاط الرئيسية على طريق سانت جيمس.للمزيد راجع -:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%A7%D8%AC%D8%B1%D8%A9

أما مدينة تطيلة، فهى '' مدينة بالأندلس فى جوفى وشقة، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ويطيف بجنات تطيلة نهر كالش، وهي من أكرم تلك الثغور تربة، يجود زرعها، ويدر ضرعها، وتطيب ثمرتها وتكثر بركتها، وأهل تطيله لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلاً ولا نهاراً. قد انفردوا بذلك من بين سائر البلاد.ومن الغرائب المستطرفة أنه كان بتطيلة، بعد الأربعمائة من الهجرة أو على رأسها، امرأة لها لحية كاملة كلحى الرجال. وكانت تتصرف في الأسفار وسائر ما يتصرف فيه الناس، فلا يؤبه لها حتى أمر قاضي الناحية، بنسوة من القوابل بالنظر إليها، وأحجمن عن تلك المعاينة من منظرها فألزمهن النظر إليها. فإذا بها امرأة كسائر النساء، فأمر القاضي بحلق لحيتها، وأن تتزيا بزي النساء، ولا تسافر إلا مع ذي محرم.ومن بنات تطيلة مدينة طرسونة، ومن تطيلة الشاعر المجيد التطيلي الأعمى صاحب القصيدة المشهورة، للمزيد راجع :- الحميرى : الروض المعطار، ص ١٣٣.

(٤٦) مدينة بلتيرة :Valterra، هى تقع فى أحواز تطيلة. محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ج٢، ص ٣٩٥، هامش، (٤).

(٤٧) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٤٣.

(٤٨) الحاجب بدر بن أحمد : استعمله الأمير عبدالله بن محمد، فى أخر أيامه فى الحكم، وذلك بعد أن استغنى عن منصب الحجابة، واكتفى بوصيفه بدر بن أحمد الصقلبى، الذى أصبح ينظم أموره، ثم أصبح فيما بعد مولى وحاجب وقائد للأمير عبدالرحمن الناصر، فى فترة حكمه المبكرة.الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٦. أحمد مختار العبادى : دراسات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأسكندرية، بدون تاريخ، ص ١٥٠، ١٥١.

(٤٩) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ١٤٥.

(٥٠) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ١٤٥، ١٤٦.

(٥١) ابن حيان : نفس المصدر والجزء والصفحة. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٥٢) عريب بن سعيد القرطبى (ت ٣٦٩ هـ - ٩٧٩ م) هو طبيب ومؤرخ من أهل قرطبة، من أصل نصرانى، أسلم آباؤه واستعربوا وعرفوا ببنى التركى، استعمله الناصر سنة ٣٣١ هـ، على كورة أشبونة. واستكتبه الحكم المستنصر بالله، وارتفعت منزلته عند الحاجب المنصور بن أبى عامر، فسماه خازن السلاح. قام باختصار تاريخ الطبرى، وأضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس، وسماه صلة تاريخ الطبرى، وله فى الطب، كتاب خلق الجنين، وتقويم قرطبة بالحروف العبرية، وهو عربى اللغة، وضعه سنة ٣٤٩ هـ - ٩٦١ م، واستخرج المستشرق الهولندى دوزى، نصه العرب وسماه، تقويم قرطبة لسنة ٩٦١ م، وقارن بينه وبين تقويم الأسقف ربيع بن زيد، فتبين أن الثانى ترجمه للأول مع زيادات يسيرة. المقرى : (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى) ت ١٠٤١م - ١٦٣١م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه ووضع فهارسه الأستاذ الدكتور/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان،١٩٦٨ م، ص ١٨٢. محسن الخير : عريب بن سعيد القرطبى، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، سورية دمشق، رجب ١٤٣٥ هـ.

(٥٣) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٤٧.

(٥٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٥٥) ابن حيان، نفس المصدر، ج٥، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٥٦) التبريز : كانت العادة أن تخرج الصوائف، والغزوات بوجه عام، سرا، حتى تحدث الأثر المطلوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمباغتة العدو، ولكن الناصر فى هذه المرة، استخدم التبريز، أى التجمع علانية، وربما أراد من ذلك، إرهاب العدو، وفت عضده من ناحية، وربما أيضا ثقة فى حشودة وعدته وعتاده. للمزيد حول كلمة تبريز فى قاموس المعانى راجع :- http://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%AA%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B2/

(٥٧) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٥٧.

(٥٨) ابن حيان، نفس المصدر، ج٥، ص ١٥٩.

(٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٥.

(٦٠) ابن حيان : نفس المصدر ، ج٥، ص ١٥٩.

(٦١) وادى الحجارة : ''هي مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً. وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق، جامعة لأشتات المنافع والغلات، ولها أسوار حصينة، ومياه معينة، وبغربيها نهر صغير لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير، يتجهز به منها إلى سائر البلاد، وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً. الحميرى : الروض المعطار، ص ٦٠٦.

(٦٢) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٥٩.

(٦٣) للمزيد حول رواية ابن حيان، نقلا عن الرازى، راجع بالتفصيل، ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

(٦٤) الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٠٢ - ٣٦٦ هـ) - (٩١٥ - ٩٧٦ م)، هو تاسع حكام بنى أمية فى، وثانى الخلفاء، بعد أبيه عبدالرحمن الناصر، تولى العهد بعهد من أبيه، وكان الناصر يؤثره على سائر إخوته منذ نعومة أظفاره، أمه أم ولد تدعى مرجان. للمزيد حوله راجع :- ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٢٤٤. ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبدالله محمد بن الخطيب) ت ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام،تحقيق / ليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٥٦ م، ص ٤١ وما يليها.

(٦٥) موسى بن محمد بن حدير : تولى الحجابة والوزارة عدة مرات، وعرف بلقب الزاهد، كان إخباريا ممتعا، حافظا لأخبار بنى أمية، ويذاكر الأمير عبدالله بذلك. ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بالأندلسى) ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٣ م، رسائل ابن حزم، تحقيق د/ إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ص ١٩٨٠ م، ج١، ص ١٥٥، هامش، (٤). ابن حيان : المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس، نشر المستشرق الإسبانى الأب / ملشور أنطونيا، باريس، ١٩٣٧م، ص ٤٥.وقد استوزره الناصر، رغم صغر سنه بعد وفاة أبيه وعمه، وكان من الذين جلسوا فى المسجد لتلقى البيعة للأمير عبدالرحمن بن محمد، وولاه الحجابة سنة ٣٠٩ هـ. ابن عذارى : البيان، ج٢، ص ١٦٤.

(٦٦) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٦١، ١٦٢.

(٦٧) مدينة طليطلة : ‘‘بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاً، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً. وطليطلة عظيمة القطر كثيرة البشر، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق، وهي حصينة لها أسوار حسنة وقصبة حصينة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وهي على ضفة النهر الكبير، وقلما يرى مثلها إتقاناً وشماخة بنيان، وهي عالية القدر حسنة البقعة، ولها قنطرة من عجائب البنيان، وهي قوس واحدة، والماء يدخل تحتها بعنف وشدة جري، ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة، ويجري الماء على ظهرها فيدخل للمدينة.وكانت طليطلة دار مملكة الروم، وكان بطليطلة بيت مغلق متحامى الفتح على الأيام، عليه عدة من الأقفال، يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح، قد عهد الأول في ذلك إلى الآخر، فلما قعد لذريق ملكاً أتاه أولئك الموكلون بالبيت يسألونه أن يقفل على الباب فقال: لا أفعل حتى أعلم ما فيه ولا بد لي من فتحه، فقالوا: أيها الملك إنه لم يفعل هذا أحد قبلك، فلم يلتفت إليهم ومضى إلى البيت، فأعظمت ذلك العجم،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضرع له أكابرهم، فلم يفعل، وظن أنه بيت مال قد اختزنته الملوك، ففض الأقفال عنه ودخل، فأصابه فارغاً لا شيء فيه إلا تابوتاً عليه قفل، فأمر بفتحه فألفاه أيضاً فارغاً ليس فيه إلا شقة مدرجة صورت فيها صور العرب، عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات على الرماح، وفي أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية، قرئت فإذا فيها: إذا كسرت الأقفال عن هذا البيت، وفتح هذا البيت فظهر ما فيه من هذه الصور، فإن هذه الأمة المصورة في هذه الشقة تدخل الأندلس فتغلب عليها وتملكها، فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم غمه وغم العجم لذلك، وأمر بردّ الأقفال وإقرار الحراس وأخذ في تدبير ملكه وذهل عما أنذر به، إلى أن كان من أمر يليان عامل لذريق على سبتة وأمر ابنته في الخبر المشهور ما سبب إثارة عزمه على إدخاله العرب إلى الأندلس، إلى أن كان ذلك وسبب الله فتحها بسبب ذلك، وما بعد ذلك يذكر في غير هذا المكان.

ووجد أهل الإسلام فيها ذخائر عند افتتاح الأندلس. كادت تفوت الوصف كثرة، فمنها مائة وسبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدر، وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد فيها ألف سيف مجوهر ملوكي، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق، ومن آنية الذهب والفضة وأنواعها ما لا يحيط به وصف، ووجد بها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، وكانت فيما يذكر من زمردة وهذه المائدة اليوم بمدينة رومة. الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٩٣.

(٦٨) هكذا جاء ذكر اسم حكام طليطلة فى المقتبس، أما ابن عذارى، وهو الأقرب إلى الصواب، فقد ذكر أنهم '' بنو سالم ''. راجع :- ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٦.

(٦٩) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٦٢.

(٧٠) تطلق الرواية الإسلامية اسم '' ألبة '' و '' القلاع ''، على ولايتى قشتالة القديمة ، معربة عن اللاتينية القديمة، وكانت "ألبة والقلاع" تشمل في العصور الوسطى جميع المنطقة الواقعة بين نهر دويرة جنوبا والبحر شمالا، وبين نافار بلاد البشكنس وأراجون (الثغر الأعلى) شرقا ومملكة ليون غربا؛ وألبة هى في الواقع إحدى ولايات بلاد البشكنس، وتمتد غربا حتى"برغش" وشمالا حتى خليج بسكونية، وجنوبا حتى نهر إيبرو. وأما قشتالة فكانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تشمل باقى المنطقة من برغش شمالا إلى ما بعد نهر دويرة (الدورو) وجبال واد الرملة. إسبانيا الحديثة. عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٢١٦. العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٧٨. http://lib.eshia.ir/40105/1/216#_ftn2

(٧١) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٧٢) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٧٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٧.

(٧٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٦٤.

(٧٤) محمد بن لب بن موسى بن قسى : ت ٢٩٤ هـ - ٨٩٨ م، هو أحد زعماء بنى قسى حكام الثغر الأعلى، فى مدينة سرقسطة، كان يتولى أرنيط، وطرسونة، وبعد وفاة أبيه، ثار فى مدينة سرقسطة، فأرسل لهالأمير محمد بن عبدالرحمن، جيشا بقيادة هاشم بن عبدالعزيز، صالحه على مبلغ من المال. وقد قتله أحد حراسه وأرسلت رأسه إلى قرطبة. للمزيد راجع :- العذرى : (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس) ت٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م، نصوص عن الأندلس، من كتاب ترصيع الأخبار، وتنويع الآثار، والبستان فى غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك. تحقيق د/ عبدالعزيز الأهوانى، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، بدون تاريخ، ص ٣٥، ٣٦.

(٧٦) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٧٧) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٦٥.

(٧٨) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٦٦.

(٧٩) يختلف ابن عذارى فى البيان، فى تسمية هذا الحصن، ويطلق عليه اسم '' بقيرة ''. ابن عذارى:البيان المغرب، ج٢ ص ١٧٩.

(٨٠) المدى : المد بالضم فى اللغة،هو رطلان، والمدى أيضا هو القفيز الشامى، والقفيز فى اللغة المكيال، وهو ثمانية مكاكيك، والمد الشامى صاعان.للمزيد حول هذا الموضوع راجع :- ttp://www.islamport.com/b/2/alfeqh/fiqh.

(٨١) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٦٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٨٢) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٦٧.

(٨٣)مدينة أنتيشية، أو أنتيسة : ويطلق عليها ابن عذارى، اسم أنتينة. ابن عذارى : البيان، ج٢، ص١٨٠

(٨٤) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٦٧، ١٦٨. ابن عذارى : البيان، ج٢ ص ١٨٧.

(٨٥) Dozy : Hist , V II , P 114.

(٨٦) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٧٦، ١٨٧، ١٨٨.

(٨٧) ابن حيان : نفس المصدر،ج٥، ص ١٨٩.

(٨٨)ابن حيان : نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٨٩) مدينة بلنسية :'' في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما، وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض، عامرة القطر كثيرة التجارات، وبها أسواق وحط وإقلاع، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهر جار ينتفع به، ويسقي المزارع، وعليه بساتين وجنات وعمارات متصلة، والسفن تدخل نهرها، وسورها مبني بالحجر والطوابي، ولها أربعة أبواب، وهي من أمصار الأندلس الموصوفة وحواضرها المقدمة، ولأهلها حسن زي وكرم طباع، والغالب عليهم طيب النفوس والميل إلى الراحات، وهي في أكثر الأمور راخية الأسعار، كثيرة الفواكه والثمار، جامعة لخيرات البر والبحر، ولها أقاليم كثيرة، وهي في الجزء الرابع من قسمة قسطنطين''.الحميرى : الروض المعطار، ص ٩٧.

(٩٠) عبدالرحمن بن وضاح : هو عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن وضاح بن يحيى بن الوضاح ابن حيان : المقتبس، ج٣، ص ٢٢.

(٩١) مدينة مرسية :'' بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد، وكان الذي تولى بنيانها وخرج العهد إليه في اتخاذها جابر بن مالك بن لبيد، وكان تاريخ الكتاب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين، فلما بناها ورد كتاب الأمير عبد الرحمن على عامر بن مالك بخراب مدينة أله، من المضرية واليمانية. وكان السبب في ذلك أن رجلاً من اليمانية استقى من وادي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لورقة قلة، وأخذ ورقة من كرم لرجل من المضرية، فغطى بها القلة، فأنكر ذلك المضري. وقال: إنما فعلت ذلك استخفافاً بي،إذ قطعت ورق كرمي، وتفاقم الأمر بينهما حنى تحارب الحيان، وعسكر بعضهم إلى بعض واقتتلا أشد قتال.ومرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، وهي راخية أكثر الدهر، رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة، ولأهلها حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه عيرهم.الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٣٩.

(٩٢) يعقوب بن أبى خالد التوزرى : كان يعمل على مدينة مرسية، أثناء صائفة سنة ٣١٢ هـ - ٩٢٤ م، وقد تمكن الناصر من استنزاله هو ومن معه على العصاة، على مدينة مرسية. راجع:- ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٨٦.

(٩٣) محمد بن عبدالرحمن بن الشيخ : ذكره صاحب المسالك، نسبه وأعماله، وعرف بالشيخ الخزاعى الأسلمى وذكر أن عبدالرحمن تمكن من استنزاله سنة ٣١٦ هـ. العذرى : المسالك، ص ١٣.

(٩٤) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٩٠.

(٩٥) يطلق عليها ابن عذارى فى البيان اسم بيطرة ألتة. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٨٦.

(٩٦) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٩١.

(٩٧)يطلق عليه ابن عذارى، اسم حصن طيالية. ابن عذارى : البيان، ج٢، ص ١٨٦.

(٩٨) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٩١.

(٩٩) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥ ص ١٩١، ١٩٢.

(١٠٠) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٩٢، ١٩٣.

(١٠١) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٩٤.

(١٠٢) يطلق عليه ابن عذارى اسم حصن بلتيرة. ابن عذارى : البيان، ج٢، ص ١٨٩.

(١٠٣) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ١٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٠٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ١٩٦. ابن عذارى : البيان : ج٢، ص ٢٠١.

(١٠٥)ابنحيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٢٠٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧.

(١٠٦) راميرو الثانى : تسميه الرواية الإسلامية رذمير (٩٠٠م - ٩٥١ م) هو ابن أردونيو الثانى، وملك مملكة ليون من سنة ٩٣١ م، حتى وفاته، وذلك بعد أن تنازل أخيه الفونسو الرابع، وقد تضمنت Anales Castellanos Primeros حوليات قشتالة الأولى الكثير عن فترة حكمة. للمزيد راجع :-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A_%D9%85%D9%84%D9%83_%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86

وهو الذى أسس تحالف مملكتى نافارا وليون، والذى تمكن بهذا التحالف من هزيمة عبدالرحمن الناصر فى، أغسطس ٩٣٩ م - ٣٢٧ هـ.Batalla de Alhandic موقعة الخندق للمزيد عن موقعة الخندق، والعلاقة بين الناصر، وراميرو الثانى، راجع :- ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٤٣٢ وما يليها.

(١٠٧) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٢٠٧.

(١٠٨)ابن حيان :نفس المصدر ، ج٥، ص ٣١٧.

(١٠٩) للمزيد حول الاستعداد لهذه الصائفة، وكى لا نكرر مزيدا من التفاصيل، سبق ذكرها من قبل، راجع

:- ابن حيان :نفس المصدر، ج٥، ص ٣٣٣ وما يليها.

(١١٠) طوطة : أو تيودا : ابنة أثنار سانشيت، ملكة البشكنس، والوصية على عرش نبرة، لجأت هى وحفيدها شانجة، أو سانشو المعروف بالسمين، إلى عبدالرحمن الناصر، لمساعدته فى العودة إلى عرشه بعد أن عزله النبلاء عن عرش نبرة وليون، ونظرا لصلة القرابة بينها وبين الناصر، أكرم الناصر وفادتها، وعقد معها حلفا. للمزيد راجع :- ابن خلدون : كتاب العبر، ج٤، ص ١٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Roger Collins, "Queens-Dowager and Queens-Regnant in Tenth-Century Le n and Navarre", in John Carmi Parsons, *Medieval Queenship*, 1998, pp. 79-92.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%88%D8%AF%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9

(١١١) للمزيد من التفاصيل حول لقاء الناصر بالملكة طوطة راجع :- ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٣٣٥.

(١١٢) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٣٣٩.

(١١٣) مدينة برغش:'' في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال، وهي رصيف للقاصد والمتحول، وهي كثيرة الكروم ولها رساتيق وأقاليم معمور. الحميرى : الروض المعطار، ص ٨٨.

(١١٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢.

(١١٥) للمزيد من التفاصيل حول كتاب الفتح، راجع :- ابن حيان، نفس المصدر، ج٥، ص ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤

(١١٦) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٣٥٦، ٣٦٦.

(١١٧) للمزيد حول تلك الفترة، وما مرت به من تحالفات بين قوى الشمال، والمسلمين والنصارى ضد حكومة قرطبة راجع :- ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٣٧٩، ٣٨١.

(١١٨) للمزيد حول أحداث تلك الصائفة راجع :- ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، من ص ٣٩٣ - إلى ص ٤٠٤

(١١٩) للمزيد من التفاصيل حول صائفة الخندق، راجع :- أخبار مجموعة، ص ١٣٦.ابن الآبار : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعى) ت ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م، الحلة السيراء، نشر / ر. دوزى، مدريد، ١٨٨٦ م، ١٥٠ابن خلدون: ج٤، ص ١٣٧، ١٤٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٢٠) للمزيد حول الاستعدادات التى تمت لتلك الصائفة راجع :- ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٤٣٣,٤٣٢. ويحدد ابن الخطيب تاريخا مختلفا لتلك الصائفة، عما ذكره ابن حيان، وهو يوم الجمعة الحادى عشر من شوال سنة ٣٢٧ هـــ، الأول من أغسطس سنة ٩٣٩ م. ويضيف بأن الناصر فقد درعه ومصحفه، فى هذه المعركة. للمزيد حول رواية ابن الخطيب، وتحليله للأسباب التى أدت الى تلك الكارثة راجع:- ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ٣٦، ٣٧.

(١٢١) محمد بن هاشم التجيبى : أحد أهم حكام مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى، وقع فى الأسر فى أحداث موقعة الخندق، بيد ملك ليون، راميرو الثانى، وقد غالى ملك ليون على الناصر، مقابل إطلاق سراحه والناصر بذل جهودا كبيرة فى إطلاق سراحه، إلى أن تمكن من ذلك بالترهيب والترغيب والحيلة، وعقب إطلاق سراحه، وصل إلى قرطبة يوم الخميس، لست خلون من صفر سنة ٣٣٣ هـــ، فبذلك ظل فى الأسر سنتان وثلاثة أشهر، وثمانية عشر يوما. ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص ٤٣٥، ٤٣٦.

(١٢٢) مدينة سرقسطة :تقع في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء. وهى قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر آهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارة حصين، وهي على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم من جبال قلعة أيوب ومن غير ذلك، فتجتمع هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة، ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة، ومدينة سرقسطة هي المدينة البيضاء، لكثرة جصها وجيارها، ومن خواصها أنها لا تدخلها حية البتة، وإن جلبت إليها ماتت وحياً.فمن الناس من يزعم أن فيها طلسماً لذلك، ومنهم من يقول بنيانها من الرخام الرخو الذي هو صنف من الملح الدراني، ومن خاصيته ألا تدخل الحناش موضعاً يكون فيه، ولها أقاليم عدة.وبسرقسطة جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة ومبان رفيع، واسمها مشتق من اسم قيصر، وهو الذي بناها، وذكر أنها بنيت على مثال الصليب، وجعل لها أربعة أبواب:- باب إذا طلعت الشمس أقصى المطالع في القيظ قابلته عند بزوغها، فإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي، وباب إذا طلعت الشمس من أدنى مطالعها في الشتاء قابلته عند بزوغها وهو الباب القبلي، وإذا غربت قابلت الذي بإزائه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجانب الغربي. وهذه المدينة على خمسة أنهار.وسرقسطة واسعة الخطة لا يعرف بالأندلس مدينة تشبهها، وقيل:- تعرف بالبيضاء لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، وكان الذي بنى المسجد الجامع بسرقسطة ووضع محرابه حنش بن عبد الله الصنعاني، فلما زيد فيه هدم الحائط القبلي، غير المحراب، فإنه احتفره من جوانبه حتى انتهى إلى قواعده، فأعملت الحيلة في حمله على الخشب وجره إلى الموضع الذي هو فيه اليوم، فتصدع وبني حواليه البناء الذي هو باق إلى الآن، وتوفي حنش هذا وعلي بن رباح اللخمي، وهما من جلة التابعين، بمدينة سرقسطة وقبراهما بها معروفان بمقبرة باب القبلة، وكان بعض من مضى من الملوك أراد أن يتخذ عليهما مشهداً ويبني فوقها مصنعاً، فلما اعتزم على ذلك أتته امرأة معروفة بالصلاح والأمانة موسومة بالعدالة وأخبرته أنها رأتهما فيما يرى النائم، وأخبراها أنهما يكرهان أن يبنى على قبريهما شيء، فرجع عن ذلك الأمر الذي هم به.ومدينة سرقسطة أطيب البلدان بقعة وأكثرها ثمرة لكثرة الفواكه في بساتينهم حتى لا يقوم ثمنها. بمؤونة نقلها لرخصها فيتخذونها سرجيناً يدمنون به أرضهم، وربما بيع فيها وسق القارب من التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة في غيرها، ومما خصت به سرقسطة معدن الملح الدراني الذي لا يوجد مثله في مكان ولا يعدل به.وأخذ النصارى سرقسطة من أيدي المسلمين سنة اثنتين وخمسمائة بعد أن حاصروها تسعة أشهر، صلحاً، خرج إليها الإفرنج في خمسين ألف راكب، وابن ردمير في جملة أخرى، أعادها الله للإسلام بفضله.والحقيقة لقد أطلت فى هذا الهامش لم فيه من معلومات قيمة من ناحية، ومن ناحية أخرى، ما ختم به الحميرى تعريفه للمدينة، وأمنيته لعودة الإسلام مرة أخرى، إلى تلك المدن التى صبغت بالصبغة الإسلامية، رغم مرور السنون على سقوطها. الحميرى : الروض المعطار، ص ٣١٧

(١٢٣) شنت مانكش أو سيمانقا: تقع على مقربة من نهر دويرة، شرقى مدينة سمورة، وجنوب غربى بلد الوليد، يوجد بها دار المحفوظات الإسبانية العامة، وهى قلعة أندلسية قديمة، وما تزال قائمة حتى اليوم بصورتها القديمة، وقد اتخذت فى القرن السادس عشر دارا للمحفوظات الملكية الإسبانية. للمزيد راجع :-

http://www.madinahnet.com/books14/%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3-
%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A92481

وذلك نقلا عن : - محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، الناشر مكتبة الخانجى، القاهرة، ص ٤١٩،هامش (٢).

(١٢٤) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٤٣٤، ٤٣٥.

(١٢٥) ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٤٣٥.وللمزيد من الروايات التى أوردها ابن حيان حول تلك الصائفة راجع ابن حيان : نفس المصدر، ج٥، ص ٤٣٦، وما يليها.

(١٢٦) المقرى : نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٥. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج٨، ص ١١٥.

(١٢٧) محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ج٢، ص ٤٢٠.

(١٢٨) ابن الخطيب : (لسان الدين بن الخطيب) ٧١٣-٧٧٦ هـ - ١٣١٣ - ١٣٧٤ م، كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام.، لبنان، بيروت، ١٩٥٩م ص ٣٦، ٣٧.

(١٢٩)ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٤٣٧.

(١٣٠)ابن حيان : نفس المصدر، ص ٤٣٧، ٤٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com